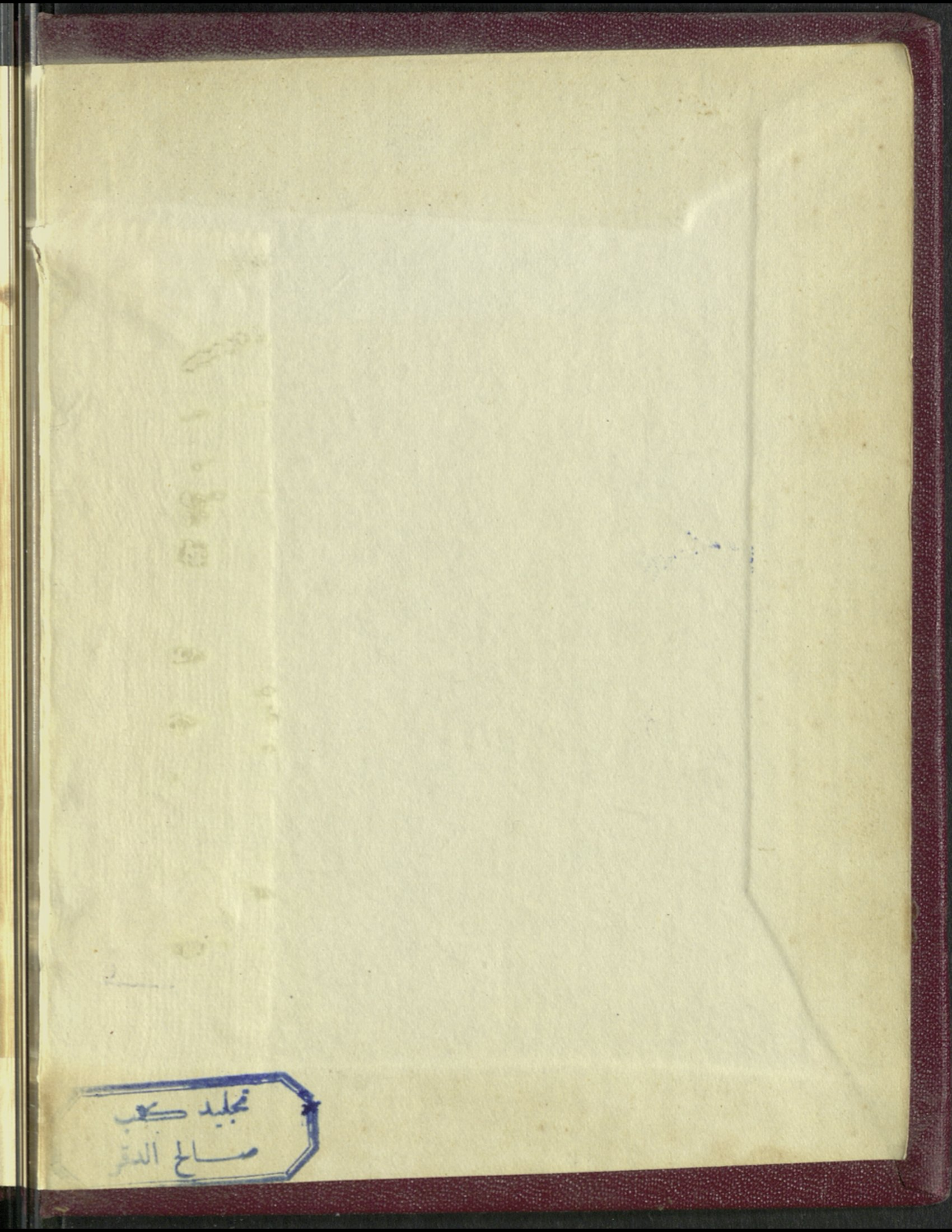
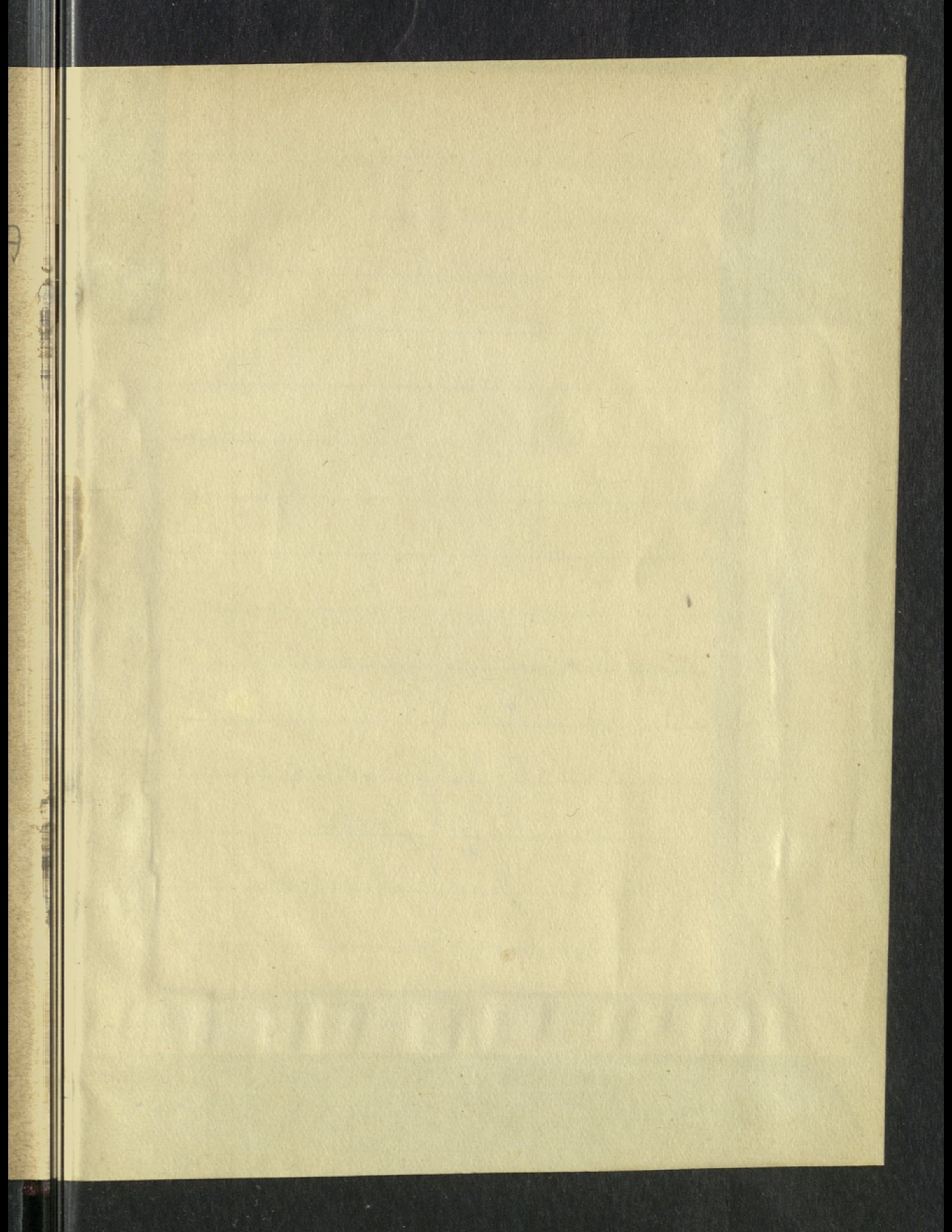
صدقي

الدين في نظر العقل الصحيح


تجليد كتب
صالح الدقر



الدين في نظر العقل الصحيح

تأليف

العالم الفاضل المرحوم الدكتور محمد توفيق صدقي

رحمه الله تعالى

نشر مقالات في مجلة المنار ثم جرد منها وطبع على نفقة

مكتبة المنار بأذن المؤلف

في حياته

الطبعة الثانية في سنة ١٣٤٦ هـ

مطبعة المنار بمصر



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد فيقول محمد توفيق صدقي الطبيب في سجن طره من سجون الحكومة المصرية ، اني قد كتبت مقالات في العقيدة الاسلامية ، واثبات صدق النبوة المحمدية ، على وجه أقرب الى عقول المتعلمين ، وقبول المدنيين ، سميتها (الدين في نظر العقل الصحيح) وخصصت بها مجلة المنار الاسلامية ، لانها هي الحقيقة بهذه المسائل الدينية ، ثم لما تمت فكانت رسالة ترجي فائدتها ، أذنت لمكتبة المنار بطبعها على نفقتها ، وأن تضم اليها مقالة لي أخرى في حكمة نجاسة الكلب والخنزير وتحريم لحمهما نشرتها من قبل في هاته المجلة فلادارة هذه المجلة الحق في طبعها دون سواها وبالله التوفيق

محمد توفيق صدقي

مقدمات

تمهيد

قرأت في إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئا من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لاحق بعد ذلك. ولما كانت هذه الافكار وأمثالها مما يخالج قلوب شباننا اليوم حتى صار جمهورهم لايعبأ بعقائد الدين، ويظن أنها ضرب من أساطير الأولين، لاحاجة لعصرنا الحاضر بها، تحركت نفسي لكتابة شيء في هذا الموضوع بعد عمل الفكر واجالة النظر في أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنتهي إلى البديهيات بحيث لاتجد فرقا بينها وبين البراهين الرياضية، لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم، وليعلموا أن الدين في حججه يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها. ولا يفاء

المقام حقه رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل في المادة من جهة
تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ، ثم أنتقل
إلى براهين وجود الخالق وما يليق به من الصفات ، ثم أتكلم
عن الروح والبعث، وأختم كلامي بأدلة النبوة عموما والمحمدية
خصوصا وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمنا
بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به . ثم أذكر ما امتاز به
دين الاسلام ، ليكون حجة على سائر الانام ، وأجعل رد
الشبهات عليه خاتمة الكلام ،

المادة وتركيبها

الاجسام التي نراها شاغلة حيزاً من الفراغ تقبل القسمة
إلى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة إلى ماهو أصغر
منه وهكذا فاذا استرسل العقل في القسمة فاما أن يقف عند
حد أولا يقف فان لم يقف كان ذلك قولا بأن كل جسم
أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابعنا مركب من أجزاء لانهاية
لها وهذه الأجزاء مهما صغرت فلا يمكن أن تحصر لعدم تناهيها .
لكن هي محصورة بالحس، إذاً هذا الفرض باطل . بقي القول

بان العقل لابد أن يقف عند حد في القسمة فهذا الحد إما أن يكون له امتداد أو ليس له امتداد فان كان له امتـداد فالعقل يتصور قبوله للقسمة ونرجع إلى ماقلناه في الشق الاول. إذاً لم يبق إلا القول بانه لا امتداد له . وإذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لا امتدادلها مطلقا ولـكن لها وضع معين فهي مثل النقط الهندسية وإنما تمتاز عنها في أنها أشياء وجودية لا وهمية . هذه الاجزاء هي مانسميه بالجواهر الفردة ويسمي جملتها الماديون (بالمادة) أو (الاثير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وباعداد مختلفةقد نشأت عنه العناصر الاصليةفيجوز أن تكون كل ذرةمن الاوكسيجين مركبة من جوهرين مثلاوالذرةمن عنصر آخرمركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحادالعناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات، وسواء صحت هذه النظريات أو لم تصح فالشيء الذي لاشك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لايتجزأ ومنه تركبت الموجودات .

—o✻o—

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ماليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل امكان تحركه من مكان إلى آخر ولو أمكن ذلك لامكن وجود حركات في الازل لا أول لها وهـذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لاعدد لها قبل كل حركة . وكونها لاعدد لها يستلزم أنها لاتحصر ولاتدخل تحت عد ، وإتيان الجوهر الفرد بها يدل على أنه يمكن عدها، وعد مالايعد تناقض بديهي البطلان . إذاً ثبت أن الجوهر لايجوز أن يتحرك في الازل لـكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لايتصور وجوده بدون ذلك الجواز، وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدينا الى المحال، وما يؤدي إلى المحال محال، ثبت أنه لايمكن أن يكون موجوداً في الازل أي أنه حدث بعد أن لم يكن

وجود الواجب

يقسمون المعلوم إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لا يمكن أن ينفك عنها . وغير الواجب قسمان موجود بالفعل وغير موجود . وغير الموجود قسمان جائز وجوده ومستحيل، والمستحيل هو مالا يمكن وجوده ، فكل موجود إما أن يكون واجبا أو جائزاً ولا ثالث لهما . أما الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ماجاز عليه الوجود والعدم ولا يرجح أحدهما الا بمرجح . إذا عرفت هذا فنقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجبا أو جائزاً لا يمكن أن يكون واجبا لانه قد ثبت أنه كان معدوما في الازل والواجب لا يمكن أن ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبداً إذاً هو جائز والجائز لا يمكن أن يرجح وجوده على عدمه الا بمرجح والمرجح لا يمكن أن يكون سوى الواجب اذ لم يبق سواه غير المستحيل ، اذاً الواجب موجود قطعا

أحكام الواجب

قد سبق أن الوجود لا ينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له ، وهذا بمقتضى التعريف السابق . ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة يشار اليه فيها والا لتصور العقل جواز تحركه ، ولو جازت عليه الحركة لكان حادثا ، ولو كان حادثا لما كان واجبا ، وإذ ثبت انه لاوضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له والا اشغل حيزا من الفراغ وتعين له الموضع والجهة

اذا عرفت هذا علمت أنه لايجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لانه لو حل أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر كما يقول النصارى لوجبت له الحركة والا لما كان للحلول والاتحاد والتجسد معنى حقيقي ، تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورته

ومن أحكامه التفرد بالوجود لانه لو كان هناك واجبان فأكثر وخلق أحدهما جائزاً مّا من الجائزات فإما أن يبقى الآخر قادراً على خلق هذا الشيء بعينه أو غير قادر ، فان بقي قادراً أمكنه تحصيل الحاصل وهو محال لانه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة ، وان لم يبق قادراً زالت قدرته القديمة عن بعض الاشياء ، والقديم لا يزول ، لان قدمه إما أن يكون لذاته أو لشيء آخر قد اقتضي وجوده ، فان كان قدمه لذاته فلا يمكن أن يزول من الذات ماهو لها ، وان كان لغير ذاته فما دام المقتضي موجوداً فلا يمكن أن يزول المقتضَى

هذا واعلم أن قول النصارى إنه واحد في الذات ثلاثة في الاقانيم محال لانهم يعتقدون أن كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة ، فالأول يمتاز بخاصية الابوة ، والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد ، والثالث بالانبثاق. وان الامتياز بينهم حقيقي بحيث أن مايثبتوه لأحدهم لايمكن أن يثبتوه للآخر.

إذا عرفت هذا أقول: الشيء الذي به الامتياز إذا ثبت لأحد الاقانيم فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات الله

تعالى وبما أنه علة للامتياز فلا يمكن أن يثبت للاقنوم الآخر وإذا لم يثبت له لم يثبت لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله، وعليه يكون الشيء الواحد ثابتاً للذات وغير ثابت لها، فمثلا إذا قلنا ان الابن حل أو تجسد أي ان ذاته حلت أو تجسدت كانت ذات الله حاله أو متجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد وعليه تكون ذات الله حالة أو متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض ظاهر البطلان

بقي علي أن أذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل ترك هذا الموضوع وهي انها لا تتعلق بالمستحيل . وخلق حوادث في الازل مستحيل لانه يستلزم وجود حوادث لا أول لها وهو باطل وعليه فالقدرة الازلية لا توجد الحوادث إلا في غير الازل والازل لا يمكن للعقل تصوره فهو ليس مركبا من لحظات لا أول لها لان ذلك أيضا باطل فلم يكن ثم دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا أن الجوهر الفرد قديم فانه يستلزم تعاقبها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان ، أما خلق الحوادث في غير الازل فلا يستلزم وجود لحظات متعاقبة ولا وجود متجددات في الازل

والخلاصة أن الواجب قديم باق قدير متفرد بالوجود (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجية) هي مايسمونه بالخليات وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الاعمال مثل ماتأتيه في الجسم ، فمثلا كرات الدم البيضاء اذا فصلت عن الجسم ووضعت في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم ، وليس الامر قاصراً على الخليات ، بل ماتركب منها من الاعضاء والعضلات وغيرها اذا فصل من الجسم يبقى حياً مدة ، فمثلاقلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا العضلات الاخرى من الجسم تنقبض وتنبسط اذا نبهت ، ثم إن جميع وظائف الجسم وحواسه ومدركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث اذا أتلف هذا المركز بطلت الوظيفة وبين

المراكز والاعضاء اتصال بالاعصاب الحساسة والمحركة ولهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لامعنى للقول بالروح إذ لاأثر لها في الحياة ولا في غيرها ، ولو كان هناك شيء يليق أن يسمى روحا فالمخ أولى الاشياء بهذه التسمية ، ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائما في التغير والانحلال والتركيب بحيث إن جسم الانسان في بضع سنين يكون قد تغير كله وأتى بدله جسم آخر . وفسروا شعور الانسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تتجدد في كل مادة ، وبعد أن أنكروا مايسميه علماء الاديان روحا وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير ، وأنه ليس من مادة عالمنا هذا إلى آخره — بعد أن أنكروا ذلك ووجدوا أن جسم الانسان بعد الموت ينحل ويدخل في تراكيب النباتات والحيوانات الاخرى ومن بينها الانسان قالوا اذاً البعث مستحيل لان الانسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسمه وليس جسمه ثابتاً له ، بل ربما دخل في جسم انسان آخر ، وعليه فالحشر روحياً كان أو جسدياً ضرب من المحال

هذا هو ملخص مذهبهم . والناقد البصير يرى أنه

مبني على المحسوس والمعقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومركز شططه ، وهي قولهم أن شعور الانسان بشخصه من أول العمر إلى آخره ناشيء عن الانطباعات المخصوصة وتجددها في كل مادة تدخل في تركيب مخه لا لشيء ثابت من أول الحياة إلى آخرها ، اذاً لا علاقة بيني الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين ، أقول المتماثلة لأنها لا يمكن أن تكون هي بعينها لانها اعراض لا قيام لها بذاتها ولا تنتقل من مادة الى أخرى ، فكأنه بعد مرور بضع سنين على الانسان يعدم الوجود ويوجد شخص آخر غيره ، ومع ذلك يشعر كل منهما بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فيهما ، ولو سلمنا ذلك فلماذا لا يكون البعث من هذا القبيل ؟ وإذا وجد شخص آخر فيه مثل ما في من الانطباعات فهل أشعر بأني أنا هو وهو يشعر بأنه أنا ؟ وما الفرق بين هذه وتلك ؟ وهل إذا عدم أحدنا يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه ؟ كلا ثم كلا إذاً لا بد أن يكون هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تتحقق شخصيته ويمتاز وجوده .

وسواء كان هذا الشيء من عالمنا هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح الانسان وجوهره وحقيقته وحيث اننا لاندري مكانه ولا كنهه فلا يمكننا الحكم بأنه يدخل في تركيب انسان آخر ، ولم لايجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في جسم جديد . ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد انحلاله فان شخصية الانسان لاتتحقق به ولاتتوقف عليه .

اذا علمت هذا أيقنت أن للانسان روحا بالمعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان البعث ليس ضربا من المحال بل هو من الجائزات ، وسنأتي في مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ما أتت به . وبعد ذلك نثبت بالبرهان النقلي وجود البعث يوم القيامة



النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص يصطفيه من بين خلقه . معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين الاخيار من الاقوام . بل هي أرقى بكثير مما لديه الناس وما وصلوا اليه. وفائدتها تقدم العالم بسرعة الى الامام واصلاح ضمائر الخلق وما تكنه صدورهم بسبب ماتوجبه من الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أوثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن . ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم ارتباط لان الاول لاسبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفا . إذاً الغرض

الاكبر من النبوة حمل الناس على الايمان بذلك اليوم واصلاح حالهم الدينية والدنيوية اصلاحا لا يصلون اليه بأنفسهم ولو بعد مئات من السنين ان لم نقل آلاف منها.

هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال الاكبر للانبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه المقام ، ايضاحا لما أجملته فيما مر من الكلام ، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك الوقت ثم أحواله عليه السلام وما اتى به من الاصلاح في الارض ولذا أبدأ الآن بوصف حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ، وتعددت الاهواء ، وعبد كل ماشاء الشيطان من الاباطيل ، عم السجود للاوثان ، وعبدت الصور والصلبان ، واعتقد الناس الالوهية في التماثيل ، خلط الخلق في شأن اللاهوت ، وتوهموا ظهوره

في الناسوت، فاتخذ البشر آلهة من دون واجب الوجود،
سهل على الناس اعتقاد السلطة في بعض الافراد، وظنوا
أن بيدهم الاشقاء والاسعاد، فهابوا مقامهم، وأعلوا
شأنهم، فطغى أولئك وبغوا وافتروا ماشاؤا من الاحكام،
وقالوا لما تصف ألسنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام،
أصبح الناس عبيداً أذلاء، في جهالة عمياء، اشتغل الرؤساء
بالمطامع الشخصية، وتفانوا في الحصول على لذاتهم البهيمية،
وأخذوا العويص من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات
والمماحكات، فتعددت البدع، وكثرت الفرق وظهرت
مذاهب الاباحيين والدهريين، أثار كل رئيس من تحت
يده من المرءوسين، وأشهروا الحرب على الآخرين،
فأريقت دماء العالمين

هذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض، وفي
بلاد العرب أدهى وأمر — عم الفساد، وزاد العناد،

وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق، في سائر الآفاق

ليس ماذكر تخيلات شعرية، ولا أفكار وهمية، بل هي حقائق تاريخية، اتفق عليها أهل العلم، ولم يشذ عنهم ذو فهم

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الحالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي النبي الامي ونشأ يتيما فقيراً لا أب له يهذبه ويربيه، ولا معلم يرشده ويهديه

قد يزعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ماسيلقى على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم نزيله بما يأتي من الدلائل الواضحة

(١) ان الجمهور الاعظم من أمته كان أميا الا نفراً قليلا فاذا أضفنا الى ذلك يتمه وفقره وأميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ أولى له أن يسعى على عيشه (١) من أن يصرف وقته في الحصول على

---

(١) هذا تعبير مصري معناه لاجل معيشته

شيء لا يعرفه الا القليل ممن جاوره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصا في بلاد ليس فيها دور للعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمها لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه اخفاء أمره اذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع انه كان يجاهر بأميته على رءوس الاشهاد ولم يوجد من يعارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)

(٣) لم يعهد عنه أنه كان يماشي أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي الى تقديمه على أصحابه ولأظهر له احتراما زائداً ولفاه المعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقا

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة

أو بعدها كان يستعمل قرطاسا أو قلما في تأليف
شيء مّا او تدوينه ، فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو
يتعلم فيبعد جداً أن لا يشاهد وهو يستعمل القراءة
والكتابة في شؤونه الخاصة

(٦) لو كان ابتدأ بتعلم القراء والكتابة لا لقصد
دعوى النبوة لاظهر افتخاره بذلك وجاهر به ولو كان
لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه
وخصوصا إذا أضفناها الى غيرها مما يسميه أعداؤه حيلا
فانها تغيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لانهم اذا
دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على ممر
الازمان فكيف يتأتى لواحد مثل محمد في أول نشأته
أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهلا ولا
يفتضح أمره مرة واحدة إن ذلك لبهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان

اليتم والفقر والجهل والامية ، والأوهام والضلال والوثنية،وقد أحاط به فسادالاخلاق من جميع الجهات، والتفت حوله عشيرته الغارقة في بحر من الخرافات والترهات ، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟ لم يكن له ذاك التأثير المعهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه: بغضت اليه الوثنية في مبدأ عمره فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط أو احتفل بمعبود مع أهله ، كانوا يشربون حوله الخمر،وينغمسون فى الشهوات والفجور، وهو بعيد عنهم منكر عليهم ، كانوا يشتغلون بالتافه من الامور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقومون ويقعدون ، ويتفانون لقصيدة أو بيت شعر وهو لايحفل بذلك ولا يجاريهم عليه . ماذا كانت حاله اذاً ؟؟ الجد والاستقامة دأبه ، والصدق والامانة طبعه،حتى عرف بين أهل مكة بالامانة وهو في ريعان

شبابه ، ينهمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا معلمين مهذبين، ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها الى ما بعد الاربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر الى سواها، ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمع عنه أنه ارتكب منكرا في زمن شبابه أو علق بحب فتاة أو مال الى عشقها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك . ما كان شغله إذاً ؟ ؟ كان شغله رعي الاغنام ثم التجارة ثم التعبد في الخلاء والتحنث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الاربعين بدعوة الخلق إلى عبادة الحق ، وقرر أن للعالم إلها واحدا بريئا من كل ما ينسبونه اليه مما لا يليق به ، وأثبت ذلك بالحجج البينات . أمر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات . أطلق للناس الحرية الصحيحة وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين

أو لأى أحد سوى رب العالمين، ومنعهم من الالتجاء الا اليه مباشرة وأمرهم بالاستعانة به وحده. أعطى الروح والبدن مايطلبانه بشرط أن لايضر بهما، ولم يحث على المبالغة في الزهد ولا الرهبانية بل امر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لاجله مع مراعاة أن لا يضر ذلك بالمرء او بغيره. اباح الطيبات وحرم الخبائث. وامر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين، ومعاملتهم بالتي هي احسن، والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الاكراه في الدين - واوجب تأمين الراغبين فى النظر فيه ولووقت الحرب (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون) الى غير ذلك مما لم تهتد اليه الناس في الغرب، إلا بعد ان وصل اليهم شعاع من نور الاسلام في الشرق. فارجع البصر الى تاريخ أوروبا

قبل الاصلاح الديني بلوثر وقبل الاصلاح السياسي بالثورة الفرنساوية لتعرف ما كانوا عليه . أتى مع ذلك بجميع الاخلاق الفاضلة والمعتدلة ، والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة ، والمبادىء السليمة والسياسات القويمة وغيرها مما كان السبب في اصلاح أمر الانسان وتحريره من العبودية وانقاذ العقل من الاسر ورده الى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سريعة عالية لم يعهد لها مثيل في التاريخ ثم امتدت الى الغرب .

فهذه هي آثار ذلك الامي وهذه هي أعماله فبماذا يجيب الضالون ؟

زعم بعضهم بعد أن سلم بأميته أنه لا بد أن يكون تلقى ما أتى به من أحد الناس بالمشافهة ، فنجيب بأن ذلك التلقي الموهوم إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها فان كان قبل النبوة فاما أن يكون حصل ذلك في بلاده

أو في غيرها، أما في غيرها فهو لم يسافر الا الى بلاد الشام
وذلك مرتين الاولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه رشده
والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة
وفي كلتيهما لم يكن منفردا ولم يشاهده أحد من التجار
المسافرين معه يتلقى العلم عن أحد ولم يغب عن قومه
الا مدة التجارة والا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا
له لعلك تعلمت هذا مدة غيابك عنا وهم لم يفوهوا بمثل
هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة
وهي التعلم من الناس ـ وأيضا فأي حامل يحمل هذا الفقير
الذي نشأ هذا المنشأ الذي بيناه ولم يوجد من ينبهه
ويرشد فكره لفضيلة العلم حتى يترك ما يقتات به وهو
في تلك البلاد الاجنبية وما به ارضاء خديجة التي بعثته
اليها ويجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من أمته ولم
يكن على عقائدهم ويذعن له حتى يبعث في قلبه كل

هذه التعاليم ويسلم له فيما خالف معتقد آبائه وأجداده وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب ·

(١) أنه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له اما أنه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما أنه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والنزاهة واما أنه كان من النصارى وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولا أن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما أنه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو تعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجهاد نفسه

وصرف وقته في تعليم هذا الغريب الامي ولم لم يدع
الناس الى هذه الاشياء بنفسه أو يختار أحداً ممن اشتهر
بشعر أو بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان
أو مال أو غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) أنه من الصعب جداً أن يقدر أحد من الناس
أن يهذب هذا الامي كل هذا التهذيب وأن يخرجه
من عقائد آبائه وأجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة
والوحي والتنزيه والتوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً
يقينا إلا إذا كان هذا المعلم مقتدراً عالما حكيما ومثل
هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها
فكيف لم يشتهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر
كلمة عن أحد مثل هذا متمسكا بما يوجد في القرآن من العقائد
والعبادات والمعاملات والاخلاق والمبادىء وغيرها .

(٥) لم لم يسرّ هذا المعلم الى أحد بانه يعلم محمداً

ويهذبه وما الذى حمله على إخفاء هذه المسألة وكتمانها هذا الكتمان المطلق ؟

(٦) لم لم يشاهد محمد يحترم أحداً قبل نبوته أكثر من غيره أو يلوذ به ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه ؟

(٧) أي شيء ألزمه الصبر اربعين سنة ولم يجعله يسارع الى دعوى النبوة ولم لم يبادر الى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة ؟ وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفا من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الأمي الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة لشيء مطلقاً خوفا من أن يطلع عليها احد وهي معه شأن الذي يريد ان يدعي شيئا مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ماتطويه سريرته ثم يتجرأ فيزداد شيئافشيئا لا أن

يسكت أربعين سنة(١) ثم ينفدفع بدعواه مرة واحدة بعزيمة
واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه الفكرة لم تأخذ بلبه ومشاعره
فتجعله مشتغلا بها طول السنة وكيف يتناساها احد
عشر شهراً ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة
فيستعد فيه لما سيدعيه كما يزعمه أولو الاهواء في عزلته
السنوية عادة المفترين . ان تأخذ مثل هذه النيات
بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائما في انشغال
بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانهك
الفكر بدنه وصار سقيما وكلت قواه العقلية من كثرة الحيل
وتعدد الصعوبات التي كان يلاقيها فتضعف عن ان تدبر
كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهية والالهامات

---

(١) وأقوى من هذا أن يقال انى له أن يعتقد أنه يعيش كل هذا
العمر فيصبر هذا الصبر

الربانية . وكيف علم انه لن ينقضي أجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويامن على نفسه فيأتي به نجوما نجوما

وان كان التعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(١) فكيف ابتدأ دعواه على جهله وأي منبه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم لم يشاهد مرة يلجأ الى أحد الناس ليتعلم منه ؟

(٣) لم لم يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة ؟ ولم بقي معلمه مرءوساً له ولم يكن رئيساً عليه؟ (راجع أيضا الاوجه السابقة)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من ان يتلقى العلم عنه ويخضع لامره وينتهي بنهيه فأين كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه باصحابه . هذا ولم يعرف احد بينهم ممتازاً بعلم سوى ما أخذه باقرارهم جميعاً

عن كتاب الله وحديث رسوله، فان كان هـذا المعلم موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالعلم والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد؟ وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا؟ فيالله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أميا وأنه لم يتلق العلم عن أحد شفاهيا فكيف أتى بما أتى وكيف عمل ما عمل ؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجار العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفانى فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقـاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبـل نبوته، وكان قليل العناية بمجتمعاتهم وافتخارهم بنثرهم ونظمهم، فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة ! وكيف أتى

بهذا الاسلوب المعجز واخترعه . وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة ان الانسان يتدرج في الشيء فيكون آخر ما أتى به أحسن مما ابتدأ بانشائه؟ وكيف يكون الكل معجزا مع أن المعتاد من البلغاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك ؟

كيف لم تجد العرب اعجازاً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عنايته بانشاء أحدهما دون الآخر بل كثيرا ما كان يقول أحدهما في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقيه من أول وهلة ؟ كيف أمكنه الجزم بان جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتمعين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره؟ (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها

فما هذه الحجج الملجمات، وما هذه البراهين المفحمات ؟

قام بالدعوة إلى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليه أحباء ما ألفوا أعداء لما دعوا اليه . فسفه آراءهم ، ونكس أصنامهم ، ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقى مما يثبط الهمم ويذهب بالعزائم لولا تثبته في أمره وجزمه بالظفر والنجاح. نجا من جميع الشرك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها ، وسلم من الدسائس التي كانت تعمل له والتربصات لقتله غيلة التي كانت تعقد عليه، ووعد أصحابه بالنصر والفتح والتمكين في الارض والخلافة ، فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من المغيبات . تحققت نبوته وصح إخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع انهم كانوا في حالة لا يرجى معها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم ، وهو لم يكن من السياسيين ولا المطلعين على

مواقع البلاد وأحوال الامم وتاريخها، فكيف يتأتى له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يهم كثيراً حتى يبت الحكم فيها فلولا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بانهم سيغلبون في بضع سنين، وعرض نفسه للسخرية والتكذيب، وهو أحرص الناس على عدم افتضاح أمره كما يقول أعداؤه (وإذا صح تفسير قراءة سيغلبون بالبناء للمجهول بان المسلمين يغلبونهم ففيها أيضا الاخبار بغيب لو لم يقع لظهر كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة أحزابا. واتحدوا على محو ذكره من الوجود انتقاما. فارسل الله عليهم ريحا وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاما (وكفى الله المؤمنين القتال) فما كل هذه المصادفات ان صح ما يقول الواهمون الذين يتمحكون بهذه التأويلات الفارغة، ويتمسكون بالتعليلات الباردة،

سمعت من بعضهم بعد ان أدهشه الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم من واحد مخصوص قولا يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو ان ما كان يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما أتى به وانه كان يتصيد معلوماته ممن جاوره من النصارى واليهود باستراق السمع منهم !! فاقول له مهلا أيها المعجب بتفسيراته ، المغرور بتعليلاته ، واستمع لما سأتلو عليك وأنت شهيد ، ولا تكن ممن عن الحق يحيد ؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدني الحرف كخدم بعض العرب أو الاتجار في بعض أشياء حقيرة. وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد صلى الله عليه وسلم في أشد الحاجة الى من يلقنه اياه فهل يسلم العقل ان علم

محمد مستفاد من هؤلاء الاشخاص ؟

هب انه كان يتصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل ببطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم ؟ لم تنزه كلامه عن أضاليلهم في المسألة اللاهوتية كعقائدهم في المسيح والصلب والتثليث ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يترو فيما فعل فندم بعد ذلك على ما وقع منه كأنه لم يكن يعلم عواقب الامور . أليس من المعهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجعل كلامهم معتمده فيما يعتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطأهم ؟

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية

التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم أن الشمس وقفت لفلان أو رجعت بعض درجات وان الحية لا تأكل الا التراب مع انها لا تأكل التراب وكالاوهام في شأن جنة عدن وما ذكر معها من الانهار مما لا يصدق به إلا الجهلة من أهل التخريف إلى غير ذلك مما كان ذائعاً بينهم ولا يزال الى الآن؟ هل يعرف الأمي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ما صح من المسائل وما فسد منها حتى انه لا يقع في كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف بانتقادها واختيار صحيحها لوقع في الوهم ولحكم على بعض الصحيح بانه باطل وعلى كثير من الباطل بانه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها العلم عبارة عن مجموع خرافات للعجائز اختلطت بشيء لا

يخلو من الصحة من بعض الوجوه فما بالك بمحمد الامي والرجل العامي؟

أيتصور أن هذا الرجل الذي كان يعتقد في أهل الكتاب انهم غاشون ماكرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا — أيتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم أن يثق باقوال يسمعها من أفواه الجهلة منهم ويزعم بعد ذلك أنها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول أعظم عالم من علمائهم بل كان يرميهم بانهم لا يفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلقون أشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم. فكيف يعول النبي الذي لا ينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم، وكيف لا يخاف أن يكذبوا عليه ويغروه بوقوعه في

الخطأ الذي لا يمكنه التخلص منه ؟ وكيف يسلم لاحد منهم ما يقوله فى دينه مع انه يجوز أن يكون مخطئاولا أثر لما يقول في الدين كما نشاهد ذلك كثيرا في المسلمين وغيرهم ، فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون في أثناءكلامهم عن الاسلام وعن عقائده بسبب مايسمعونه من جهلة المسلمين .

هل يمكن للعامي الامي إذا سمع خليطا من قصص بني اسرائيل من أفواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلا يزيل ما اشتبه على الافهام بحيث لا يدري صحيحها من كذبها أن يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى أنبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل أهم حوادثهم وذكر أعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب

أزمنتها والى بعض البلاد التي وقعت فيها والى موقعها الجغرافي كأن يومىء الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتى على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم أو تأخير فى حوادثها أو خلط فيها، مع ان هذا التاريخ أجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من أن يكتب احدى حوادثه الكبيرة.

تصور حالة عامي من عامة المصريين اذا سمع أقوالا متفرقة متشعبة من أفواه بعض جهلة الاوربيين عن تاريخهم فهل يمكن هذا العامي أن يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما أتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبتهم وتاريخ حياتهم وما أتوا به من الاصلاح

في بلادهم وينبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر الا الصحيح منها ويترك الاباطيل التي ألحقها الاوهام بها قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟

يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تعد على أصابع اليد الواحدة ويزعمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتد به . فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صحيفة ممتلئة بالاوهام والخرافات والخلط في المسائل والخبط من غير اهتداء إلى صحيحها ، وذلك من غير كثير عناء وتعب بل مجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نهزأ بها ونتعجب من ترهاتها ، وخصوصا في زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من

أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويتفكهون بذكرها ولا نحتاج الى البحث والتنقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قل ان نجدها في القرآن وإذا وجدناها فانها لا تلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث . فهل هذا هو ما ننتظره في قول العامي المصري الذي ضربناه لك مثلا أم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئا من ذاك .

استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن :

أليست الشريعة الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها . أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف

وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط . أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفساف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك وأخبار الايام) أليس من المبادي الاسلامية ما لم يهتد الناس اليها الا في العصر الحاضر؟ أليست العقائد الاسلامية أنزه العقائد وأبعدها عن مخالفة المعقول والوحيدة في قوة الحجة ومتانة البرهان (أنظر ما تقدم في المقالة الاولى) . أليس في القرآن أصول الدلائل العلقية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها باجلى بيان؟ أليس في العبادات والاوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين والدنيا؟ أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب

بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد ؟ ماذا يكون قول العامي اذا ذكر شيئا عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الاوهام ونحن في القرن العشرين للمسيح فما بالك اذا كان في القرن السادس ؟ فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم لم يذكرها محمد فيه اعتقادا منه لها وجريا على ما كان عليه معاصروه ؟ فكم ذكرت هذه الاشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد عنها الا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين؟ فكيف تحاشى محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل . هل كان العامي الامي من العرب يعرف في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها لها ذكر وأنثى وهو الامر الذي لم تقل به العلماء إلا في الزمن الاخير (ومن كل الثمرات جعل

فيها زوجين اثنين) مع أن العرب لم تكن تعرف ذلك الا في النخيل . هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئا ويدرك ان الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هـذا فيقول (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر للنور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله إنها سراج ونحو ذلك . هل كان أحد في ذلك الزمن يعتقد دوران الارض حتى يردد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وليس ذلك في يوم القيامة على الاصح اذ قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله (صنع الله الذي أتقن كل شيء) لا يناسب مقام الاهلاك والابادة . هل كان أحد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الارض مجلياً للشمس

والليل غاشياً ساتراً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل اذا يغشاها) الذي أتعب المفسرين زمناً ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركها كما كان ينتظر من مثل هذا العربي الامي .

مَن مِن العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب مانشاهده ليس الا لاختلاف منازله بالنسبة الى الشمس لا لأن حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) يظن العامة أن المطر آت من الجنة أو من الملكوت الاعلى أومن عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي ان المياه بأنواعها التي نستعملها خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المطر كما يتوهمون

بل فيه ما هو اوضح في بيان حدوث المطر [1] وهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التعبير والصدق في العبارة والاشارة الواضحة إلى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل او معولا عليها في زمنه؟

هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها. أليس ذلك مما لم تنته اليه عظماء الفلاسفة إلا بعد الجهد والعناء الكبير؟

هذا وان القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والامثال الصحيحة على وجه وتعبير يبهت الفيلسوف الحكيم بدنه

«١» كقوله « وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ثم يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله »

دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الأمي ؟ فهل نقول بعد ذلك كله ان سماع النبي لخلط من جاوره من الناس الجهلاء وهوسهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم ؟

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يمحص المسائل كما محصها القرآن وأن يأتي بأصح الآراء وأقومها في المعتقدات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع ما فيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في إرشاد الناس اليه كما فعل محمد ﷺ وأن يحترس من الوقوع في زلة واحدة وأن يخبر عن بعض أشياء في المستقبل بفكره وقريحته بحيث لا يخطيء فيها وأن يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم يعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يحاكيها أحد ، وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فبعد ان كانوا

أعداء صاروا إخوانا ، وبعد أن كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء ، وبعد ان كانوا أضعف الامم صاروا أقواها وسادتها في مدة قليلة — لو كلف هذا كله لأقر في الحال بالعجز واعترف بالضعف ، فما بالك إذاً بالنبي العربي الذي نشأ يتيما فقيراً أميا في وسط الجهل والوثنية فى زمن العمى والظلام تحتاط به الخرافات من كل جانب والاباطيل من كل مكان ، امتزج حوله الحق بالباطل ، واختلط الصدق بالكذب ، يسمع قولا حقا مرة وأكاذيب بجانبه مرات فلا يمكنه أن يميز أحدهما عن الآخر لعدم علمه . تشعبت فى فكره الآراء وتضاربت فى نفسه الاقوال ، فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الآلهي حتى جاءه الوحي الرباني فمحص الحق ومحق الاباطيل ، وقرر الصدق وأزهق الاكاذيب ، واعتمد فى دعواه على الحجج البينات لا على الألاعيب ، فأعظم به من

نبي ختم الله به الانبياء ، وأكرم به من رسول طار ذكره في السماء ، ﷺ

بقي علي أن أذكر شيئا من أخلاقه بعد أن خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه في سائر الآفاق : هل طغى وبغى وانهمك في الملاذ ؟ كلا ثم كلا ملك ملكا واسعا ولكنه ما فارقه الزهد والتقشف طول حياته ، مات ولم يترك إلا شيئا زهيداً وأوصى أن يكون صدقة لأمته ، لم تتغير حلمه وعفوه ورأفته ورحمته بالناس بل زادت . اقتصر على زوجته العجوز إلى ما بعد الاربعين كما قلنا سابقا حتى توفيت ، ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة ، وتزوجها وهي في سن تكاد أن لا تشتهى فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة ، وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهن لفقرهن ، أو عدم من يقوم بشؤونهن ، كمن

فقدت بعلها في حرب ، أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من أصحابه لكبر سنها ، وليس للنبي أن يشير على احد بتزوج بعضهن لئلا يأخذها مضطراً في زواجها فلا يحصل بينهما وفاق ، وكان الغرض في زواج بعضهن إيجاد الرابطة بينه وبين أهليهن او تعزية بعضهن على فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو إبطال عادة من عادات الجاهلية الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في اخبارهن ، فشفقة بهن ورحمة لهن كان يتزوجهن ولا يمكنه ان يبقيهن في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن من غير حق او بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه الشهوة لكُنّ كلهن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات ، فمن كان هذا شأنه لا يتصور انه كان يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا

والا لوجدته بعد نجاحه متكبراً جباراً منتقما فظا غليظ
القلب متعاليا في نفسه محتقراً لغيره ، فأين هذا كله ممن
كان متواضعا متقشفا يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويطوي
على الجوع ليالي راضيا بالقليل رحيما بالناس لطيفا يحترم
كل احد حسب منزلته حليما لا يغضبه جهل الجاهل ولا
قلة ادب الوقيح . يعفو ويصفح عمن اساء اليه. اذا احتاج
يقترض المال حتى من اليهود ، وكثيراً ما اوذي بسبب
ذلك ، فالله اكبر ما اجل شأن النبوة وأرفعها عما يرميها
به الجهلة من الناس هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو المعول عليه
في هـذا الباب والسند الاقوى للنبي في دعواه . وأما
ماظهر على يديه من خوارق العادات فلم يكن عليـه
السلام يعتمد عليها كثيرا فلذا ضربنا صفحا عن إطالة
البحث فيها ، وغاية مانقول أن هذه المعجزات ليست من

المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقاة نقلا متصلا صحيحا وتواتر بعضها بحيث ان الانسان إن شك في بعض أفرادها لا يمكنه أن يشك في مجموعها . وأمثال هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للانبياء السابقين مع أممهم . ذلك لان الانسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تنفعل نفسه إلا بما وقع تحت حسه ، ولا يتأثر إلا بما كان تحت لمسه ، ولما بلغ رشده وارتقى ارتقت أدلة النبوة كذلك وآتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي، وجعل المعجزة الكبرى في اتيان الامي بما أتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعا عن الاتيان بمثله . وأما المعجزات الاخرى فلم يكن يراد بها الا تثبيت الذين آمنوا بالحس بعد ان اقتنعوا بالعقل، والزام المعاندين الذي علقوا ايمانهم على رؤية هذه

الخوارق ، ولما لم يؤمنوا عند ظهورها ، ما كان يجيبهم الى طلب غيرها ، لان من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك اذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة . وهذا الذي قلناه هو ما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء .

والخلاصة ان الدليل قسمان حسي وعقلي ، أما الحسي فانه أشد تأثيراً على النفس وأفعل في القلب ، وأما العقلي فانه أصح وأعم فائدة وذلك لانه متى أحكمت مقدماته ونتائجه فلا سبيل لتطرق الشك اليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر إلا في نفس من نظره بعينه ، ويتطرق اليه شبهات كثيرة كالشعوذة والتدليس والحيل وكلما كان الانسان بسيطا كان فعله في نفسه أشد

ولما كان محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء ومرسلا إلى الانسان بعد بلوغه رشده ، ودعوته

ليست قاصرة على زمن أو مكان، كان الانسب أن تكون حجته الكبرى عقلية لا أن تكون حسية، وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفوليته ما يناسب بساطته، وفي زمن كهولته ما يوافق رقيه ودرجة عقله، كالاب الحكيم يحمل أبناءه في صغرهم على الدرس باعطائهم المكافآت كالحلوى والصور، وفي كبرهم بتبيين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم، فالانسان بالبعثة المحمدية أدرك قيمة عقله وخلص من سائر القيود ولم يبق لمشعوذ عليه سلطان أو لمحتال عليه حيلة، وقام ينفض ما على جسمه من غبار التقليد ونظر بعقله إلى ما حوله من الموجودات واستخدمها، وهكذا سار في طريق الاصلاح إلى أن يبلغ الكمال إن شاء الله تعالى ولنختصر هذه المقالة في كلمات قليلة فنقول :

كل من أتى باصلاح في الارض من قبل الله تعالى (١) فهو نبي ومحمد قد أتى بالاصلاح من قبله تعالى فهو نبي ، والدليل على أن اصلاحه من عند الله أنه ليس مستمدا من معلومات من جاوره من الناس كما بيناه آنفا وأن ما أتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثل جزء منه إذ لو كان مقتبسا من علمهم لكانوا أقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله)

إذن القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه لنحوز سعادة الدنيا والآخرة

---

(١) اي لا من قبل نفسه ولا بالتبع لنبي آخر ، وذلك بان يكون علمه الذي به الاصلاح وحيا من الله كما صرح به

الاسلام هو الاصلاح الاكبر

مقال آخر آتي به اليوم تتميما لمقالي السابق (الدين في نظر العقل الصحيح) وايضاحا لما أجملته هناك في مسألة الاصلاح الاسلامي في الارض. ولا أريد ان أذكر المسائل التي شارك الاسلام فيها غيره من الاديان الاخرى ولكني ذاكر ما امتاز به عنها ليتضح لاهل الانصاف، أنه هو الاصلاح الاكبر بلا خلاف

١ — التوحيد والتنزيه

أتى القرآن بالتوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقال (هو الله أحد * لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار * ليس كمثله شيء) وتحاشى مايوهم التشبيه والتجسيم الا ما اقتضته ضرورة التعبير اللغوي حتى انه ازال في مثل قوله (وهو أهون عليه) مايتبادر منه من التمثيل

بالمخلوقين بقوله بعده (وله المثل الأعلى) ففاق بذلك جميع الكتب الاخرى الممتلئة بالتشبيهات والتمثيلات حتى الساقطة الباردة منها. وأبان بمثل قوله (وان من شيء الا يسبح بحمده) وقوله (ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً) ان لا شجر ولا حجر ولا بشر تجوز عبادته من دون الله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فعرف الانسان حقيقة حاله، وأنه لا يليق به ان يخاف احدا سوى الخالق تعالى، فخلص بذلك من الاوهام المحيطة به من كل جانب، هدأ الله بعد ذلك روعه منه وأعلمه أنه به رؤوف رحيم، بل أشفق عليه من الام على ولدها وانه اقرب اليه من حبل الوريد يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فاحبه المسلم لاحسانه اليه وقربه منه مع جلاله وخاف من عقابه إذا هو عصاه. فمن غمره الملك بنعمه كان له محبا ولكنه يخاف أن يقع منه ما يغضبه. ومع ذلك

إذا عصاه الانسان ثم رجع اليه وجد بابه مفتوحاً وغفر انه واسعاً (قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم)

الله اكبر اين هذا الاعتدال في العقيدة من افراط قوم يظنون ان الله لا يحب الانسان الا اذا قتل نفسه لتكفير ذنبه فاوقعهم ذلك في الاشراك الحقيقي وان أنكروه وفي التشبيه والتجسيم وما خالف المعقول والمنقول؟ وأين ذاك الاعتدال من تفريط آخرين يعتقدون أن الله بعيد عنهم ولا يبالي بهم ولا يريد بهم خيرا

يزعم بعض من يدعي العلم من قسيسي المسيحيين أنه لم يرد في كتاب المسلمين ما يدل على حب الله لهم وحبهم له بل كل ما فيه الخوف والانزعاج منه فلذا اورد هنا ما ورد في القرآن الشريف في ذلك المعنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله * والذين آمنوا اشد حبا

لله* فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه *ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين *وآتى المال على حبه* ويطعمون الطعام على حبه) وفيه من ذكر الرضى والرأفة والرحمة والغفران مالا يوجد في كتب المسيحيين أنفسهم ويكفيك أن كل سورة مبتدأة بالرحمن والرحيم . فهل إله المسلمين قاس كما يهذون ؟؟ ألا ان التعصب يعمي ويصم

والخلاصة أنه بهذه العقيدة الصحيحة اجتثت جذور الوثنية من الارض وكذا كل عقيدة اتفقت معها في الحقيقة وان اختلفت عنها في الشكل ، وتبع ذلك طهارة العقول من الوساوس والخرافات التي أحاطت بالامم الاخرى ، فأي اصلاح أكبر من هذا ؟

---

٢ — المساواة

قرر الاسلام أن افراد البشر عند الله سواء وأنه لا ينظر الى صورهم وأزيائهم بل الى قلوبهم. وان رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشيا ، وعذابه لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً ، فلا فرق بين الغني والفقير والصعلوك والامير ، والحر والعبد ، الا بالتقوى (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الافراد ولم يجعل لاحد على الآخر سلطانا الا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الاذى وحفظ الامن ، وفيما عدا ذلك لا مسيطر على الانسان إلا الله وحده وليس بيننا وبينه تعالى حجاب او واسطة (فذكر ، إنما انت مذكر ، لست عليهم بمسيطر) فلا كاهن ولا رئيس في الدين ،

ليقرب الناس من رب العالمين .

زال بذلك كل ما كان وضعه رؤساء الاديان الاخرى من الحجر على العقول وعلى مامنحه الله لنا من الحرية كدعوى التوسط بين الله والناس في غفران الذنوب واباحة ارتكاب بعض المحرمات في مقابلة دريهمات يأخذونها ، ومنع الناس من قراءة كتبهم الدينية الى غير ذلك من المفاسد التي وقع فيها الامم الاخرى بسبب عبارات وردت في كتبهم فهموها بهذا المعنى بحق او بغير حق واستمروا على العمل بها الى مابعد مجيء الاسلام بعدة قرون ثم أخذ بعض الطوائف في الاصلاح بمثل ماأتى به ديننا القويم من قبل

أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدي الله تعالى وحده ويقرأ كتابه بنفسه ويفهم منه ما شاء ان يفهم فلا توسط ولا مراقبة ولا حجر . والناس غيره في

عبودية وذل ، وغباوة وجهل ،

ثم الاسلام بعد ذلك التقليد ونهى عن متابعة الاهل في شيء إلا بدليل (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) وأمر المسلم أن ينظر في القول ليميز صدقه من باطله بدون نظر الى قائله (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) فأي دين أتى بمثل هذا كله ؟

٣ — العقل والعلم بالحقائق رائد الايمان الصادق

امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد ، والتحاكم اليه عند التخالف والتعاند فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى الا بالدليل العقلي .

أي كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الاجرام السماوية؟ تذكر حجة ابراهيم على قومه في سورة الانعام مثلا ، تأمل قوله تعالى في الرد على من عبد مريم والمسيح (كانا يأكلان الطعام) وقوله (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) ردا على من اتخذ ولادته بدون أب دليلا على ألوهيته. وقوله في إثبات النبوة (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وقوله (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) وقوله (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون) وقوله في عدم استحالة البعث (أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العليم) الى غير ذلك من الآيات التي هي أساس علم الكلام كما بينا ذلك في المقال السابق

ولم يكتف باقامة الحجة على العقائد فقط بل لا تجد في الغالب أمراً او نهياً الا أتبعه بالدليل ولم يرض بالاستسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال مثلا (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أي ان الصيام الذى يقوي الارادة ويربي النفس على مراقبة الله تعالى ويعرفها مقدار النعم عند فقدها أعظم معد للتقوى. وقال في الحدود (ولكم في القصاص حياة ياأولي الالباب) وقال في الاخلاق (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) وغير ذلك كثير مما لم يأت في كتاب سواه فلا تجد صحيفة منه خالية من قوله (لعلكم تعقلون. تتفكرون. ياأولي الالباب. لاولي النهي: لذى حجر الخ الخ ثم ماورد فيه بشأن العلم والعلماء كثير (وما يعقلها الا العالمون* انما يخشى الله من عباده

العلماء * وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم * هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وبذلك كله صار المسلم لا يبالي بعقيدة خالفت العلم الصحيح أو ناقضت حكم العقل، فبينما نجد غيره يخضع لعقيدة لا يفهمها ولا يمكنه أن يعبر عنها بما يجعله يفقهها بل يذعن ويسلم ثم يقيم الصلوات والادعية لترسخ بالقوة في ذهنه — بينما نجد ذلك في غيره نجده هو يشق الحجب بفكره، ويرق الى الملكوت الاعلى بعقله، عملا بقول كتابه (قل انظروا ماذا في السموات والارض)

لا يطالب القرآن أحدا بالايمان لمجرد سرد قصص عن المعجزات وخوارق العادات، بل امر بالتدبر والنظر فيه (افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) وخالف بذلك سائر الكتب الاخرى، وفتح للعقل بابا واسعا للبحث فيما اتى به حتى يجزم بان صدوره من مثل محمد

العربي الامي ﷺ ضرب من المحال . ولم يرد ان يغلق دونه الباب بتعداد حكايات لم تخل امة من نسبة أمثالها الى مؤسسي دينهم بل قد ورد في كلام بعضهم كالمسيح مثلا ما يدل على انكاره لها ان صحت الرواية عنه. وذلك قوله «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي» يريد بذلك انه كما آمنت أهل نينوى بيونس لمجرد الوعظ فلتؤمن الناس بي ايضا لهذا السبب بعينه بدون معجزة وما ورد بعدها من قوله « لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال» قال فيه المحققون من المسيحيين انفسهم انه تفسير من جانب كاتب الانجيل وهو غلط لوجهين (الاول) ان المسيح لم يمكث في بطن الارض على قولهم الا يوما وليلتين كما هو صريح جميع الاناجيل (والثاني) انه بعد

قيامته لم يظهر لاحد من هؤلاء الطالبين ولم يشاهده سوى بعض النساء وبعض المعتقدين فيه. فكيف يكون ذلك آية مقنعة للمخالفين

وخلاصة القول ان هذه العبارة تنفي جميع المعجزات ومع التساهل لا تبقى الا واحدة وقد بينا لك حالها: فهذا هو شأن جميع الاديان التي لا حجة لها الا امثال هذه الأقاصيص والاعجوبات: فهل تقارن هذه بالدين الذي لا عقيدة ولا امر ولا نهي ولا حكم فيه الا ويتبعه الدليل العقلي من نفس كتابه؟ فلله دره من دين أحيا العقل بعد أن أماتوه، ونهض به الى حظيرة العلم بعد ان دفنوه، فاي اصلاح أكبر من هذا!؟



٤ — رفع وهم عن الناس فى تأثير الشياطين

أتى الاسلام والناس جميعاً واهمون في مسألة تأثير الشياطين : رسخ في عقول الامم كافة أن الارواح الخبيثة مسلطة على الانسان بالاذى فاذا رأوا مفلوجا أو مشلولا أو مجنونا أو أبكم أو أصم أو مصابا باي مرض آخر نسبوا ذلك اليها فامتلأت قلوبهم رعباً منها وخافوا من الاماكن القديمة أو الخالية أو المظلمة أو من سقوط شيء على الارض أو من دخول المراحيض إلى غير ذلك من الاوهام التي لا يزال أثرها في نساء أهل مصر الى اليوم : وياليت الامر كان قاصراً على ما ذكر بل ظهرت نتيجة ذلك في أعمالهم وكانت سببا في ضررهم ضرراً بليغاً فاذا أصيب أحدهم بمرض ما تداووا بالعزائم والطلاسم، وايقاد البخور، أو زيارة بعض

القبور، أو تعليق أوراق، أو الاستنجاد براق حتى يتمكن الداء وتستفحل العلة فلا يقوى الطبيب على استئصالها أو ايقاف سيرها ويموت الشخص ضحية للجهل والوهم.

هذا كان شأن الامم في هذه المسألة وهذه كانت أفكارهم وكانت تأتيهم الاديان ولا تزيل عنهم هذه الخزعبلات المميتة للنفوس والاجسام بل إن بعضها أيدها تأييداً ونص على صحتها صريحا: فتجد أن كل صحيفة من كتبه تدل على أن الشياطين هي علة هذه الامراض كالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم وأنواع الجنون والعتاهة وغير ذلك مما عرفت أسباب أكثره العلوم الطبية الحديثة، وما لا تعرفه قاسته على غيره لوجود التشابه العظيم بينهما، ولشفاء بعضه باستعمال العلاجات المادية المحضة كالمواد الكيماوية ونحوها

أتى الاسلام والناس على هذه الحالة فلم يشأ أن

يتركهم وشأنهم يخبطون خبط العشواء في الليلة الظلماء بل أصلح هذه كما أصلح غيرها مما يميت النفس والجسم معا صغيرا كان أو كبيرا ، وذلك ببيان أن ليس للشيطان على الانسان من سلطان الا بالاغراء والوسوسة فلا يمكنه أن يؤذيه في جسمه أو عقله أو احدى حواسه بشيء مطلقا قال تعالى حكاية عن الشيطان (وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) وقال تعالى في خطابه (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) وما ورد فيه من قوله (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) هو على سبيل التمثيل والتشنيع الذي ورد مثله في كل لغة مهما كان اعتقاد قائله فهو على حد قوله في مقام آخر (طلعها كأنه

رؤوس الشياطين) (١) وتلك عبارة واحدة لم يرد غيرها فليطالع القاريء العهد الجديد للنصارى مثلا ليعلم الفرق بين هذا وذاك

بمثل هذه الحقائق التي قررها القرآن صار المسلم الحق لا يعبأ بالشيطان ولا يخشى منه أذى أوضررا الا ما كان دعوة لشهوة أو نحوها مما يجب عليه أن يحترس منه فاذا أصابه مرض ما لم يستشف بقديس أو قسيس كما يفعل غيره بل يطلب الطب والدواء ويأتي البيوت من أبوابها فاعظم به من كتاب لم يهمل شيئا فاسدا الا أصلحه . فبأي كتاب يمكن أن نقارنه ؟؟

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فاطفيء القنديلا

(١) المنار : الصواب ان الشياطين هنا نوع من الحيات كما في التفاسير المعتمدة

٥ — عدم الاكراه على الدين

الاعتقاد الصحيح لا يكون الا باقتناع العقل بدليل لا بارهاب أو ترغيب . فمن لم يطمئن قلبه بالبرهان، لا يحصل له الايمان ، وان تظاهر بشيء منه فهو منافق كذاب، فلا معنى لادخال عقيدة في القلب، بواسطه التهديد بالقتل أو الضرب ، وهذا مالا جدال فيه ، فاستعمال القوة للحمل على اعتقاد هوس وجنون، وسعي فيما لا يمكن أن يكون ، لهذا نهى الله المؤمنين عن الاكراه نهيا صريحا في عدة مواضع من كتابه العزيز (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ثم

طيب قلوبهم بنحو قوله (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وقوله (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) ففقه المسلمون أن ليس من وظيفتهم بالنسبة لغيرهم ما نهاهم الله عنه. أمروا بالقتال ولكن لا للعقيدة بل لدفع الاذى وأمن الفتنة وحماية الدعوة (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله) الفتنة هي ما يفتن به المرء في دينه من أنواع الاذى و الاضطهاد والمعنى قاتلوهم حتى يأمن كل منكم على نفسه ويكون دينه كله خالصا لله لا يشوبه خوف أحد أو كتمان شيء لعدم اغضابه أو اظهار آخر لايدين به لاجل ارضائه بل يكون دينكم وخضوعكم كله لله بدون مبالاة بغيره. ولو كان القتال لأجل الاكراه على الدين لما كان هناك معنى لقوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا

ان الله لا يحب المعتدين) وقوله (الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين)وهذه الآيات مدنية. نزلت وقد أعلن القتال وأنشبت الحرب أظفارها فكيف ينهي عن قتال من لم يقاتل أو يعقد عهد مع المشركين ، اذا كانت الحرب لاجل الدين ؟ ولما أمر الله تعالى في سورة براءة بقتال المشركين الذين خانوا العهود ونقضوا المواثيق وبدأوا بالعدوان ، وكانوا مهددين للمسلمين في كل وقت وأوان، وخيف ان يدخل احد في الاسلام حذر القتل امن كل من رغب النظر فيه ليهتدي اليه بدون اكراه فقال (وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون)

والخلاصة ان المسلمين اذا امكنهم الدعوة الى دينهم

دعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن ولكن اذا هددت الدعوة وخيفت الفتنة ، قاتلوا حتى يخضع المهدد لسلطانهم ويأمنوا شره . وبعد ذلك يعطفون عليه بالرفق واللين والاحسان وحمايته في مقابلة جزء يسير يدفعه من ماله وله أن يقيم على أي دين شاء . هذا هو حكم الجهاد في الاسلام ، كما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن . وأما ما خالف ذلك فليس من الاسلام في شيء ويكون الحامل عليه الملك والاستعمار لا الدين وهذا مبحث آخر فليس للمسلم أن يقاتل من كان آمنا منه لأجل أن يكرهه على دينه ، أو يسيء إلى من خالفه في الاعتقاد (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين) أو يقطع علائقه مع أهله لاجل الدين (وان جاهداك

على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) أو يعاقب باكثر مما عوقب به أو يقتل في حربه شيخا أو طفلا أو امرأة . الى غير ذلك من شرائع العدل والرأفة والرحمة . فاي دين بلغ من القوة ما بلغ الاسلام وعمل بمثل هذه القوانين العادلة ؟

قارن ذلك بما فعله بنو اسرائيل مع غيرهم ومافعله النصارى مع مخالفيهم بعضهم مع بعض

يقولون ان المسيح عليه السلام فاق محمدا عليه الصلاة والسلام بالدعة والمرحمة ونقول هب أن ذلك صحيح فهل يقارن من عاش ثلاث سنين في الضعف والمسكنة بمن عاش ثلاثا وعشرين وهابته الملوك والجبابرة ؟ فما يدرينا أنه لو عاش مثل ما عاش وبلغ مثل ما بلغ ماذا يفعل . عاش محمد عليه الصلاة والسلام ثلاث

عشرة سنة أو أكثر ولم يبد منه عداوة لاحد(١) وعاش المسيح عليه السلام ثلاث سنوات فبدت منه البغضاء للناس اذا صح ما نقل عنه . نعم انه قال : أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم : ولكنه كان أول من خالف ذلك على رواياتهم فقال « من لم يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه ايضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا» وقد برهن على هذا القول بالعمل حينما قيل له أمك واخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك فقال «من هي أمي ومن هم اخوتي — ومد يده نحو تلاميذه وقال — ها أمي واخوتي ، من يصنع مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي» وقال في مثل له « أما أعدائي اولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » فما هذا التناقض وما هذه الحال .

---

١) يعني مدة النبوة بمكة بل كان قومه هم الذين يعادونه

والحق يقال ان حب العدو فوق الطبيعة البشرية فمن
اراد ان يغيرها لا يلتفت اليه ولا يسمع له قول كما هو
مشاهد الآن في العالم باجمعه، ولكن الشريعة الاسلامية
أتت لتقويم معوج الطبيعة لا لتغييرها وتبديلها فأمرت
بما يقدر عليه الانسان بجهد قليل بان حثت على الاحسان
الى المسيء (ويدرءون بالحسنة السيئة) ومدحت ذلك
على انها اقرت بان الاخذ بالمثل لا ظلم فيه ولا عدوان
ولكنها لم تندب اليه كما ندبت الى الاول (ولمن صبر
وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) فانظر الفرق بين ما
وافق الفطرة وبين ما حاول تبديلها . وهذا هو الشأن
في كل المسائل التي خالف فيها الاسلام الاديان الاخرى
المعروفة (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق
الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون)

٦ - اصلاح حال المرأة

اتى الاسلام وحال المرأة في اختلال ، بنات موءودة ، وحقوق مهضومة ، وذل واحتقار ، حتى ظن بعض من كان يعتقد بنوع من البعث ان المرأة لا نصيب لها فيه ؛ طلاق لأوهى الاسباب ، أو امساك مع البغضاء والشحناء ، تعدد لاحد له أو اقتصار على واحدة أوقع غيرها فريسة للفقر والاهواء فماذا عمل الاسلام في هذه الحالة المختلة ، وكيف أزال العلة ؟؟

حرم وأد البنات تحريما بتا . وأنذر الناس عذابا أليما يوم القيامة ان لم يتركوه (وإذا الموءودة سئلت * باي ذنب قتلت) رفع شأن المرأة وحفظ حقوقها وجعل لها مثل ما عليها فقال (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) وهي درجة القوة والانفاق كما

ذكر في آية أخرى (١) ساوى بينها وبين الرجل في جميع الاوامر والنواهي الدينية والصفات (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وقال أيضا (اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى) فعلم الرجل أنها قرينة له في الآخرة كما هي في الدنيا ولا امتياز بينهما في ذلك. أمر بالاحسان اليهن في عدة مواضع ومعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن ضراراً. وطيب قلب الرجل اذا حصل له شيء من الكره بقوله (وعاشروهن بالمعروف فان

١) الصواب انها درجة الولاية التي سببها ما ذكر

كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) حتي لا يتسرع الى الطلاق لاقل سبب وأوجب عليه التروي وتحكيم حكمين من أهلهما قبل أن يقدم على ذلك (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكما من أهلها) الآية لان الطلاق وان كان مباحا لكنه ابغض الحلال الى الله كما ورد في الحديث وأما اذا لم يمكن التوفيق بينهما لسبب مامن الاسباب فعدمه فيه حرج كبير مخل بالعائلة والنظام ويجر إلى ما لم تحمد عقباه . ولذلك نجد من حرم عليهم في شريعتهم أخذوا يتخلصون من ذلك بكل وسيلة

قال المولعون بالاوهام ان اباحة الطلاق تقلل الحب بين المرأة وزوجها لانها مهددة به في كل وقت. ولكننا نقول هل المرأة التي تعلم أن الجامعة بينهما قسرية اضطرارية تضمن حب زوجها لها أكثر من التي

تعلم أنه لو لم يكن هناك حب لسهل افتراقهما ؟ فما هذا القلب قلب الحقائق الى الضد !

كان تعدد الزوجات غير محدود عند العرب وعند غيرهم فوضع الاسلام له حدا كما هو معلوم ولم يندب اليه وقيده بشرط عدم الخوف من عدم العدل وفوائد الاباحة كثيرة منها (١) ان الانسان اذا اصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها فاما أن يبقيها أو يطلقها : أما طلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة والانسانية اذ لا يمكنها أن تتزوج بغيره وربما لا يكون لها عائل سواه وان ابقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضا وتعرض للاصابة بامراض كثيرة تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرته الشهوة الى الزنا . وأما اذا كان هو المصاب بذلك المرض المزمن فطلاقها إذن يكون عين الحكمة والصواب فتسلم من العدوى ان كان

مرضه معديا فيمكنها التزوج بغيره والقيام بوظيفتها التناسلية أو الاشتغال بشيء تكتسب منه قوتها. وهذا أيضا من فوائد الطلاق. فهل في الطلاق والتعدد اصلاح للمرأة أم اضرار بها؟ ومثل المرض المزمن العقم في النساء فالتزوج عليهن خير حل لهذه المسألة وخصوصا فيمن كان يطلب وارثا له في مال أو ملك

(٢) عدد النساء أكثر من عدد الرجال فلو لم يبح التعدد لوجد عدد كبير منهن لا حيلة لهن سوى الاتجار في أعراضهن كما هو مشاهد في اكثر بلاد أوروبا وذلك يجعلهن مبتذلات معرضات للامراض واذا افتقرن ومرضن أو كبرن في السن أو فقدن عضوا منهن فلا مخلص لهن من سوء الحال سوى الانتحار. فهل في التعدد اصلاح أم اضرار بهن؟ هذا واذا علمنا ان شهوة الرجال أقوى من النساء بكثير وانهم يميلون الى التعدد

بخلاف الاناث كما هو مقرر في العلوم الباحثة في هذا الشأن ايقنا ان اباحة التعدد موافقة للنوع الانساني من كل وجه. ولا ننكر انها قد تجر الى بعض مضار. ولكن باستعمال العقل والحزم يغلب نفعها على ضررها.

ولا يزول ما بين الرجل العاقل وبين امرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض لأن قلب الرجل يسع اكثر من واحدة كما ان قلب الام يسع جميع اولادها وقلب الاستاذ جميع تلاميذه النبهاء. فالتعدد لا يمنع من حب الجميع البته ولا ينافيه: ولكنه ينافي العشق والغرام الذي هو احد امراض الحب. واقصد بالعشق عبادة ذات مخصوصة والتفاني فيها بما يؤدي الى الموت ان فقدت ومثل هذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المعبر عنه بقوله تعالى (وجعل بينكم مودة ورحمة) اي

حب شفقة وحنان وحب اخلاق لاحب ذات وهذا
لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان
وحب الاخلاق من شخص لكثيرين . ومتى علمت
المرأة ذلك من الرجل وعلمت انه هو عائلها وكافلها احبه
قلبها رغم انفها وان كرهت شريكاتها فيه . وهذا
الكره ناشيء من شهوة الاستئثار بالنفع وهي شهوة
لا يجوز للرجل ان يطيعها فيها اذا اقتضت الضرورة
خلافها . ولو عقلت المرأة ان غيرها يود من يقوم
بشؤونه مثلها وان قلة الرجال بالنسبة اليهن يستلزم قيام
رجل واحد بشؤون اكثر من واحدة لوجدت نفسها
مخطئة في ايثار النفع الخاص على النفع العام . الامر
الذي يحاشاه ديننا القويم . والخلاصة ان الشريعة
الاسلامية حلت مسألة المراة احسن حل واصلحت
حالها اصلاحا لم تأت به شريعة اخرى وقد اخذت

الافكار في اوربا تتقرب الى ما اتى به الاسلام بعد
ان عادته عداء شديدا مدة مديدة

الحديث شجون - ايثار النفع العام على النفع الخاص
هو ما يعبر عنه المسيحيون (بانكار الذات) فهل الدين
الذى يدعو المرأة لان ترضى غيرها شريكة لها في
زوجها كالذي يدعوها لان تستأثر بشخص وحدها
وترى غيرها من النساء يرحن ويغدون في الطرقات كل
يوم الى ما بعد نصف الليل ليحصلن على ما به يقتتن
ويكتسين ؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الاول
يطلقون نساءهم ليزوجوهن باخوانهم من المسلمين
ويطعمونهم طعاما هم أنفسهم محتاجون اليه يقال عنه إنه
لم يعلمهم انكار ذاتهم !! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى
(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ؟؟ هل الدين
الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب

بقوله على زعمهم «ان أمكن فلتعبر عني هذه الكاس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل ضجر وخارت قواه صرخ قائلا «إلهي إلهي لماذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالاذى والقتل في سبيل نصرة الله ودينه وقد احتمل من الاضطهادات مدة ثلاث وعشرين سنة مالم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً) الآية ؟ أيهما برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق مهما أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدره وحده ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» الله اكبر أين هذا من ذاك ؟ فما كان أغنانا عن هذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا. هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن . اليس

في هذه الثلاث اكبر معنى لانكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالاقدام وتحمل المصاعب والمشاق للحصول على رضوان الله . ابعد ذلك يقولون إن المسلمين لا يعرفون معنى لانكار الذات الذي يطنطنون به ويدعونه بألسنتهم وهم ابعد الناس عنه واكثرهم انغماسا في الملاذ والشهوات . ولكن ليقف القلم عند هذا الحد ولنرجع الى ما كنا فيه

٧ — الرقيق واصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضا من قديم الازمان . فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للتجارة بهم . عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الانسانية يحمر خجلا وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلا . ولكن هكذا كان وهكذا حصل

اتى الاسلام فرق لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء،
منع الاسترقاق بتاتا الا أن يكون في حرب شرعية مع قوم
لم يؤمن اذاهم من غير المسلمين . وبهذه القاعدة سد
اكثر ينابيعه واغلق ابواب الظلم والعدوان . امر
بالاحسان الى الارقاء ومعاملتهم بالرفق واللين . فقال
(وبالوالدين إحسانا وبذي القربى ـ الى ان قال ـ وما
ملكت ايمانكم) ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل
كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم
مملوكه أوضربه فكفارته عتقه» وليس هذا فقط بل قال
«اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه
تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم
ما يغلبهم فان كلفتوهم ما يغلبهم فأعينوهم» وقال «لا يقل
أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» وحث
على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية

فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران » هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله)

وإذا افترش السيد أمته فولدت له كان الاولاد وأمهم أحرارا ويرثون من أبيهم الى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط. ليس هذا كل مافعله الاسلام بأولئك الضعفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الانسان مخالفا للدين حتى في أبسط المسائل كالحنث في الايمان فقال (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته ـ الى ان قال ـ أو تحرير رقبة) وليس هذا فقط بل امر بجمع الاموال ـ الزكاة ـ من الاغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب (انما الصدقات للفقراء ـ الى

قوله - وفي الرقاب) الآية وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله - الى ان قال - وآتى المال على حبه ذوي القربى) - الى قوله - وفي الرقاب) وقال أيضا (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة) الى غير ذلك مما يطول شرحه. أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما تفتخر به المدنية الحديثة وتتيه اعجابا به؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الاوروبيون في الزمن الاخير هو من آثار دينهم فيهم. ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه من قريب ولا دخل للدين فيه. والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الاحوال!!

وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟

كلا ان الذي ورد فيها هو امر الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن القيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسائله وقد وافق على ذلك بطرس الحواري في رسالته الاولى حيث أوصى العبيد بان يخضعوا لسادتهم ويخشوهم فاين هذا من ذاك ؟ وأين الثرا من الثريا . ولم لم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرق لحالتهم كما رق الاسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يامر باستعمال الرفق بهم واللين ولو بجملة واحدة ؟ يقولون إنه لم يأت ليسن شرائع او ينسخ ما كان موجودا منها ونقول ردا عليهم لم حرم الطلاق والتزوج بالمطلقة والتعدد في الزوجات . اما كان يمكنه ان ينهى الناس عن استعمال القسوة على الاقل مع اولئك الضعفاء . واذا قدر على الاول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الاول

اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال إن ما أتى به الاسلام لم يأت بمثله دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الاوربيين مدنية وعلما لكانوا أولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه .

٨ — أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

﴿ الفقراء والمساكين ﴾

قضت الحكمة الالهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير وصعلوك وأمير الى غير ذلك

---

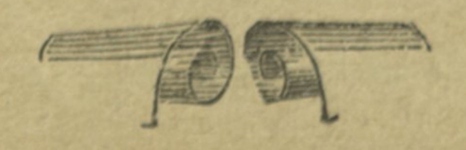
(١) المنار كان سكوت المسيح عن مثل هذا لأن الامة لم تستعد له مع علمه بأن الدين الاخير سيبينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الاعمال في
الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في
الحصول على العيش والارتماء . جاء الاسلام فقرر هذه
القاعدة العمرانية (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) وخالف بذلك من أراد أن
يجعل المعيشة اشتراكية لان ذلك هدم للنظام ومدعاة
للكسل وترك للاعمال وايقاع للبشر في مهواة الفقر
والفاقة والتقهقر ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول
تبديل خلق الله . ولكن نشأ من الاختلاف مرض
التباغض في جسم الهيأة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني
وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة
الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضاء بقضائه
ووعدهم خيرا في الآخرة . ثم عطف على الاغنياء
وألزمهم ان يعطوهم شيئا من اموالهم مساعدة لهم في

معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى انك فلما ترى سورة من القرآن خالية من مثل (وآتوا الزكاة) فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحص صدورهم من الغل. فأي دواء أنجع من هذا؟ واي دين اوجب ذلك كما اوجب القرآن وميز بين الصدقة والزكاة؟

الايتام

لم يهمل الاسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم (ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) ونهى عن اغضابهم واذلالهم فقال (فاما اليتيم فلا تقهر) وحث على اطعامهم في نحو قوله (او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة)



﴿ ابن السبيل ﴾

عندي ان اللقيط اجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فان لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده فليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لان يكونوا نافعين للمجتمع الانساني . فأي شيء يفتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا ؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك ؟ (١)

---

(١) المنار جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك (انما الصدقات للفقراء والمساكين) الخ والباقيات ذكرت هكذا « وفي سبيل الله وابن السبيل » والحكمة في ذلك أن الاصناف الاولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة ، وأما الاربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي

٩ — الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهيا صريحا عن هذه الاشياء الثلاثة

يصرف المال فيها ولا يملكه أفراد الآخذين . وقد فسروا في سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو على كل حال ليس مما يملكه أفراد معينون بل يشترى به السلاح وتقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله (وفي سبيل الله) ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصا بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء لعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين . فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى (وفي سبيل الله وابن السبيل) يجب ان يكون من المصالح التى ينفق فيها المسلمون ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له اصل ينسب اليه فنسب الى الطريق الذي وجد فيه وهو أظهر في اللقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا بما دل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب؟؟

ما لا يقبل تأويلا . ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمراً معجزة له ليشربه الناس ولم يأت في عبادات الاسلام مايشرب فيه الخمر على أنه دم الآله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لاتخفى على أحد . وأما لحم الخنزير فقد سبق اننا كتبنا في المنار في إحدى السنين الماضية مافيه من المضرات التي هي علة تحريمه

١٠ — مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلا وشربا وزينة ولباسا (اقرأ أوائل سورة الاعراف) وامر بالسعي والعمل وتصريف الاعضاء فيما خلقت لاجله (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه — فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) فلم يحث على زهد أو رهبانية أو خصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي

والتقدم (أنظر مثلا انجيل متى اصحاح ١٩: عدد ١٠-١٢)

وجملة القول ان الاسلام لم يدع أصلا من أصول الاصلاح الا أتى به، ولا فضيلة الا قررها، فهو وحده الدين الكامل بلا شك ولا مراء. ولا يراد بالدين والانبياء الا ان يكونوا كالطب والاطباء لامراض الاجتماع . ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للادواء، فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام. لهذا اخذت الامم تقرب منه يوما بعد يوم الى ان يتحقق نبأ الغيب (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)



الخاتمة

(في رد الشبهات)

اذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه — أولم يرغب — إزالتها أعمته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمه لها . وكلما ناداه منادي العقل والانصاف ان أذعن. صاح به شيطان الشبهة أن لا تغتر ، والى غير اعتقادك لا تركن ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ماهو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جموداً، وللحق جحوداً، فلهذا رأيت ان اختم مقالاتي السابقة بردما اعلم انه العقبة الكبرى امام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالباً صنفان اما ان يكونوا ممن اثرت في عقولهم نظريات الماديين ، واما ان يكونوا من المسيحيين

شبهتان للماديين في القرآن

اما الاولون فاعظم مايشتبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لان ما عندهم من نظريات «داروين» وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب. ولي كلمتان أقولهما لهذا الصنف من الناس (الاولى) اني اقر واعتقد ان مذهب «داروين» هو اسمى ماوصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل: الا ثار الجيولوجية ، الاعضاء الاثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين اجنتها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن باحسن من هذا المذهب ، ولكن لا ينتج من ذلك انه هو الحق الذي لا يصل البشر الي تعليل آخر

غيره ، فكم من نظريات عمل بها العالم اجيالا وقروناً في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماءوالتراب) اما كنا نعتقد ان الارض هي مركز العالم وان الشمس والسيارات تدورحولها؟ اما كنا نعتقد صحة خبطهم وخلطهم في امزجة الانسان واسباب الامراض ومعالجتها ؟ اما كنانعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن انها الحق الذي مابعده الاالباطل فما هو اعتقادنا اليوم ؟ اترك القاريء ليتفكر في هذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر خلق على وجه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على انه خلق مباشرة

من التراب (١) بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل وذلك مثل قوله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)

---

١) للماديين ثلاث مزاعم في خلق البشر (أحدها) بدء خلقه والله تعالى يقول (ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) ويقول (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) والسلالة الخلاصة المستلة والمنتزعة من الشيء. ولا يعلم كيف كان بدء خلق أول بشر من الطين إلا الله تعالى لان طبيعة الارض فى العهد الذى حصل فيه ما يسمونه التكون الذاتي ليست معروفة لهم فيحكموا على ماحصل فيها (ثانيها) ان آثار البشر التي ظهرت في طبقات الارض تدل قطعاً على ان تاريخه قديم يعد بمئات الالوف من السنين أو أكثر، وهذا الزعم قطعي ولا يرد على القرآن وإنما يرد على التوراة فقط (ثالثها) زعم بعضهم ان كلا من الانسان الابيض والاسود والاصفر والزيتوني له أصل غير أصل الآخر. وهذا ظن لا يمكن القطع به لانه يتعلق بالماضي البعيد المجهول ولان تأثير الاقاليم وطبائع المعيشة لم يعلم مدى فعلها في أهلها الى منتهاه

فان لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة ؟ ولو لم تشاهد الملائكة افساد الناس في الارض وسفكهم دماء انفسهم فمن أين علموا ذلك ؟ ومثل قوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء).

اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من الامم كما في قوله (انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) فلا يتحتم أن يكون المراد بكل خطاب للناس فيه جميع من على وجه الارض وإنما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالاسلام بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل — اياك أعني واسمعي ياجاره — ومثل قول الخطيب لسامعيه يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيهم وحدهم عن الشرب بل، هم وجميع من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون

الخطاب في هذه الآية التي نحن بصددها للعرب وان كان غيرهم مطالبا بالتقوى مثلهم . وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ؟) فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا ان التكلم في اكثره مع العرب.

اذا علمت هذا أقول (يا أيها الناس) أي العرب و(من نفس واحدة) أي نفس أمهم لان الام هي الاصل المعول عليه ولها الحظ الاوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال (وخلق منها زوجها) أي من جنسها كما في قوله تعالى (خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل . ولو

كان المراد في مثل هذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الامم لما قال في آخرها (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) بل كان يقول « وبث منهما جميع الرجال والنساء » أو ما يفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق. ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبثوث منهما بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الامم الشرقية . وأما غيرهم فلهم آباء آخرون . ولا يوجد فى القرآن ما ينافي ذلك . وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لا علينا ان قلنا بذلك المذهب —مذهب داروين—ولذا أوردناها في هذا المقام . واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء) وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم (يابني آدم خذوا زينتكم)

وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكلة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآية التي نحن بصددها وان كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الا أن المطالب بالتقوى جميع الناس. هذا وفي قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) اشارة الى أن الله تعالى خلق الناس أولا ثم صورهم ثانيا أي أحسن خلقتهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها. ومثل ذلك قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون * والجان خلقناه من قبل من نار السموم * وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون) فكأنه يشير الى أنه خلق الانسان من

الطين ـ وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة ـ (١) ثم أمر الملائكة بالسجود لاحد أفراد الانسان الذي خلقه مثلهم من الطين الذي يترفع الملائكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول أنا آمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله (من صلصال من حمأمسنون) وقد يتمسك البعض بقوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) قائلا ان كان آدم كسائر افراد البشر مخلوقا من ذكر وأنثى على مذهب « داروين » فلم خص بالذكر دون أي فرد آخر ؟ قلت لان الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون

١) تذكر ماأشرنا اليه في الحاشية السابقة من خلق الانسان من سلالة من طين فلولم تكن هذه السلالة معروفة فينا الآن في الجملة فكم يكون البعد بين الطين وبين خلقنا ؟ وقس عليه مالم نعرفه من بدء ذلك

بخلقة آدم من التراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم كأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقا بلا أب ولا أم فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط : فان قيل لم قال « عند الله » ولم يقل « عندكم » (١) قلت ليشعر بان هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لان ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقته كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول .

ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لانه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما

---

١) هذا السؤال لا محل له فان معنى عند الله : في حكمه وسنته في الخلق والتكوين ، ولو كان مثله كذلك عندهم لما احتاجوا الى ذكره

خلق آدم. ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضا لنا لا علينا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأي فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذكر لانكم اذا اعتقدتم فيه هذا الامر العجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك.

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى ان آدم ليس أبا لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق. ولم يخلق مباشرة من تراب. وعليه يكون جميع ما ورد في القرآن بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماما

وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن

اليوم عند الله الاف من السنين (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقال أيضا (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) فيجوز أن يكون المراد بهذه الايام الستة آلاف من السنين(*)

شبهات النصارى في القرآن

« وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون » فلهم شبهات ﴿ الشبهة الاولى اقتباس القرآن مما قبله ﴾ ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابها أو مماثلا ما عند غيرنا من القصص أو العبادات أو

«*» المنار: اليوم في اللغة هو الزمن فالستة الايام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقها على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس « ص ٣٣١ »

العقائد أو غير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل
(١) ان القرآن أتى ليصلح ما كان فاسدا عند الامم لا
لان يزيله كله ، ويأتي بشيء جديد من الاول الى الآخر
كلا بل اذا وجد حسنا أبقاه واذا وجد قبيحا محاه (٢)
ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في
عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لا نعرف
واذا فلا غرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من
القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات . فان
وافق عليها القرآن فما ذلك الا لانها وحي من عند الله
لهؤلاء الناس . وان خالف شيئا منها فما ذلك الا لوقوع
الغلط فيها على ممر الازمان . وان رد عليها فما ذلك الا
لانها مما افتراه الناس على الله (٣) اذا صح ذلك التعليل
فيما أتى به القرآن مماثلا ما عند الناس فماذا يقولون فيما
يوجد فيه مما لم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في

هذه الملة الاخيرة ؟ وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

﴿ الشبهة الثانية — دعوى غلط القرآن ﴾

زعموا انه ورد بعض غلطات في القرآن ولا حجة لهم على ذلك الا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقا في شيء قالوا أخذه منها. وان خالف قالوا اخطأ. وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فتعسا لحجتهم المضحكة!! نحن لا نريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكننا نطالبهم بان يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعا حقيقيا بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبيها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت الينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا

بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبيها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلا واحدا اصحاح ٣٤:٥ و ٦ من سفر التثنية يدل على أن الكاتب لم يكن موسى . وان قيل ان أحدا أضافها فمن هو حتى نثق باقواله وكيف يضيف الى كتاب الله ما لم يكن منه . وإذا أمكن مثل هذه الاضافة فلم لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف الف الناس كتبا كثيرة ونسبوها إلى الموحى اليهم كذبا ؟ كيف ميزتم الكتب الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ما سلمته الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كاتبيها ملهمون من الله . هل للخوارق التي يتناقلها جميع الامم عن مؤسسي أديانهم بل وعن غيرهم كالصالحين — الاولياء

والقديسين — أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا
نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير حقيقتها كتفسير
كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم في
قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد
السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل
الماء أو البلور

نحن نعلم واهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة
عما يسمونه غلط الكاتب وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة
ما يدهش ذوي الالباب وفيها من التناقض ما يحير العقول
ولنضرب مثلا لكل ، أما مثل غلط الكاتب فما ورد في
السفر الثاني للايام اصحاح (١٦ : ١) اذا قورن بالسفر
الاول للملوك (١٥ : ٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة
يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة صريحة لعقيدة التثليث
ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الاعمال

والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس هذا الكتاب إذ يقول في الاول ان الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني انهم لم يسمعوا الصوت فاذا جاز ان يكون الكاتب أخطأ في النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئا وانتشر كذلك ؟!! واذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف نأمن أنه لم يزد او ينقص ما يخل بالمعنى ؟ واذا وجد التناقض فكيف نرجح الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزانا لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

وانا نؤيد قولنا بايراد اربعين شاهدا من هذه الكتب على وجه الاختصار الذي لو راجعته لوجدته اما خطأ واما تناقضا واما زيادة واما دليلا على ان المؤلف ليس من نسب اليه الكتاب الى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب . واذا لم تفهم بعض ما اشير اليه

من عباراتها فطالع احد التفاسير لتفهم غرضي لاني لا اريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفا من التطويل الممل فلذا اكتفى بالاشارة الى اماكنها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كما شاء وهي هذه :

﴿اربعون شاهدا من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلافه﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٥:٧

(٢) لاوى ١٤ : ٣٣ — ٥٧

(٣) ١ كو ١٥ : ٥ ومر ١٦:١٤

(٤) اعمال ٩:٧ و ٢٢ : ٩

(٥) اعمال ٢٢:١٠ و٢٦:١٦

(٦) يوحنا ٣ : ١٣

(٧) لاوي ١١ : ٦

(٨) يوحنا ٥ : ٣١ و ٨:١٤

(٩) مرقس ١٦: ١و٢ ويوحنا ٢٠: ١

(١٠) مرقس ٢: ٢٦

(١١) مرقس ١٠: ٤٦ ولوقا ١٨: ٣٥

(١٢) مرقس ٦: ٨ ولوقا ٩: ٣

(١٣) متى ٢٧: ٩

(١٤) متى ١٢: ٤٠

(١٥) متى ٦: ١٣

(١٦) متى ١٩: ٢٨

(١٧) متى ٢: ١٥ و ١٧ و ١٨

(١٨) متى ٥: ١٧ و ٣١ و ٣٢ و ٣٨ و ٣٩

(١٩) متى ١٦: ٢٧ و ١ يو ٢: ١٨ و ١ تسا ٤: ١٥ و ١٧ و ١٨ و ١ كو ١٠: ١١ ومتى ٢٤: ٣٤

(٢٠) متى ١: ١٢

(٢١) متى ١: ١١ و ١٧

(٢٢) متى ٩:١٨ ومرقس ٥:٢٣

(٢٣) يو ٧ : ٥٣ - ٨: ١١ وكذا مرقس ١٦: ٩ - ٢٠

(٢٤) حزقيال ٤٥و٤٦ وسفر العدد ٢٨و٢٩

(٢٥) حزقيال ١٨: ٢٠ وخروج ٢٠:٥

(٢٦) أرميا ٥٢:١و٣٤

(٢٧) نحميا ١٢: ١—٢٦

(٢٨) ٢ أيام ١٥: ١٩ و١ ملو ١٥: ٣٣

(٢٩) ٢ أيام ١٦: ١و١ ملو ١٥: ٣٣

(٣٠) ٢ أيام ٢٢: ٢ و ٢ ملو ٨: ٢٦

(٣١) ١ أيام ١٩: ١٨ و ٢ صمو ١٠: ١٨

(٣٢) ١ أيام ١٨: ٤و ٢ صمو ٨: ٤

(٣٣) تكوين ١٤: ١٤ (انظر قضا ١٨: ٢٩)

(٣٤) يشوع ١٥: ٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥: ٦-٨)

(٣٥) يشوع ٢٤: ٢٩ — ٣١

(٣٦) تثنية ٢٣ : ٢ و ٣

(٣٧) تثنية ٣٤ : ٥ — ١٠

(٣٨) خروج ١٢ : ٤٠

(٣٩) تكوين ٤٦ : ١٥

(٤٠) تكوين ٣٦ : ٣١ — ٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطأ في المسائل العلمية والاخلاقية والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق

الشبهة الثالثة — مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها (يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا) قال المسيحيون ـ ولا تجد كتابا لهم في الطعن في الاسلام خاليا من ذلك ـ : ان القرآن هنا نص

على أن مريم هي اخت لشخص يسمى هارون فتكون
هي مريم اخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام
وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام
ابن اخت موسى فيكونان معاصرين . فانظر الى هذه
البراهين المفحمة ؟ والاقيسة المنطقية المدهشة ؟! هل
يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن
تكون هي مريم اخت موسى ؟ أما رأيتم انه قد يوجد
في بيت أب وابن اخت له وتكون اسماؤهم كاسماء أشخاص
من بيت آخر ؟ قد رأيناذلك كثيراً ولكننا ما رأينا احداً
يقول ان هذا البيت هو البيت الآخر بعينه . فما بالكم
خرجتم عن العقل في مسائل الدين !! هل ورد في القرآن
أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى ؟ أم ورد فيه
ان مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالتوراة ؟
ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره التوراة وأنبياء بني

اسرائيل التابعين لها في سورة المائدة (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم) فاذا كان هنا ينص على أن عيسى عليه السلام اتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابعين لموسى فكيف تستنتجون منه ان عيسى معاصر لموسى ! وقلما يذكر المسيح في القرآن الا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليتق الله المنصفون

هذا وإذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم ابي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الاناجيل القديمة التي رفضوها بيهوياقيم علمنا كيف انهم يجهلون نسبها فلا غرابة اذا جهلوا أخا لها يسمى هارون . بل اختلاف اناجيلهم في نسب المسيح اختلافا اتعبهم منذ وجودها في التوفيق بينها يجعلنا لا نعبأ بما يعرفونه عنه وعن أهله عليه السلام. ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هارون كان رجلا صالحا فجعلت اخته في الصلاح

والتقوى أي انها مثله في ذلك أو كما يقال أخو العرب وأخو الحرب

الشبهة الرابعة — السامرى

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل (وأضلهم السامرى) فقال المسيحيون إن السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهؤلاء لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين ، ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له ، وهل إذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول إنه واحد من تلك الفرقة وبعد ذلك نبني عليه مانبني من الاوهام ، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها ، ولم لا يكون ماورد في القرآن منسوبا بالبلد غير ماعرفنا من البلدان؟

وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك ؟ وفي البلاد القديمة أيضا ما يسمى (سام راه) أو (سمرا) [١] ويجوز أن يكون السامري نسبة لبيت رجل من بنى اسرائيل يسمى (شامر) مثلا [٢] وهذا الاسم وما يشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١ أخبار الايام ٧: ٣٤: ٨: ١٢) واذا تذكرنا أن الاسماء المعربة تتغير بالتعريب تغيرا يبعدها عن أصلها أحيانا [٣] كما في عيسى بالنسبة ليشوع بالشين ويحي بالنسبة ليوحنا ويونس بالنسبة ليونان وغير

---

(١) المنار : صرح بعض المفسرين بان السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة (٢) أكثر الالفاظ التى هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة (٣) ليس هذا خاصا بالعربية فالافرنج أشد تغييراً وتحريفاً للالفاظ المنقولة الى لغاتهم

ذلك فاننا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لا نرى من الغرابة أن نجهل الاصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرة فانظر الفرق بين لفظ عيسى ويشوع مثلا ، وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نردّ مثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في القرآن في قصة فرعون

ويجوز أيضاً ان يكون السامري لقبا لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر العبري الذي معناه حفظ . والارجح من هذا كله عندي أن يكون علما لشخص يسمى بلغتهم شمري وهو اسم مشهور عندهم (أنظر ١ أيام ٢٦ : ١٠ و ٤ : ١٧ و ١١ : ٤٥) ولما عرب ابدلوا الشين المعجمة بالسين المهملة وزادوا عليه في أوله ال مع بعض تغيير بسيط . وزيادة ال هنا كزيادتها في لفظ (السموأل) وهو اسم لاحد نابغي شعراء العرب وكان يهوديا فيغلب على ظني ان هذا الاسم أيضا معرب

من لفظ (شموئيل) والتغيير الذى حدث فيه كالذى حدث في لفظ (السامري) من زيادة ال وابدال السين بالشين وغير ذلك . وهذه التغييرات شائعة في جميع اللغات في أسماء الاعلام فانظر الفرق بين لفظ بختنصر واصله (نبوخذ ناصر) فاذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة — غروب الشمس فى العين

قال تعالى في قصة ذي القرنين (وجدها تغرب في عين حمئة) أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الارض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة « رأيت الشمس تغرب في البحر» مثلا مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وانما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر

الواقف على ساحل البحر . والقرآن الشريف انما نسب
الأمر إلى ذي القرنين فقال وجدها إشعاراً بان ذلك هو
ما رآه بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام؟
ولو كان الكلام في مقام التكوين والخلق ونص القرآن
على ان الشمس تغرب في جزء من الارض لكان لهم
الحق في هذا الانتقاد على أنه تعبير معروف عند كل
الناس حتى المنتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير الى ماقاله العلماء
في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ماورد في الكتاب العزيز
(والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)
فقد اتفقت كلمتهم على أن الشمس وجميع ما حولها من
السيارات تجري فى فلك لها الى يوم تستقر فيه ويخرب
العالم وهذا يوافق كل الموافقة ما قاله القرآن الشريف
من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة — آزر أبو ابراهيم

قال تعالى في ابراهيم عليه السلام (وإذ قال ابراهيم لابيه آزر) فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين إن ماورد في التوراة هو ان ابا ابراهيم يسمى تارح فمن أين أتى القرآن بآزر قلنا إننا قد تكلمنا على مايسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه ، ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورود اسم آخر فيه قد يكون بسبب أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالىء كتبهم في أسماء كثير من الاشخاص . ولكننا لا نكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان أخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لماخالفها في مثل هذه الاشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في تخطئة منهم لا حاجة اليه بها ، وكان

في أمن منها لو وافق على ماورد فيها

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيين والاشوريين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار، ثم عبدوه في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركا به وقد وجد كثيرا في كتابات البابليين أيضاً. وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لابي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للاله الذي كان يعبده فهل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصا إذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا في التلمود الذي سماه (زاراح) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله



الشبهة السابعة — جبل الجودى

قال تعالى في سفينة نوح عليه السلام (واستوت على الجودي) فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ (جودي) فيها فمن أين أتى به القرآن؟ ونجيب عن ذلك باننا لا نعبأ بكتبهم لما ذكرناه سابقا ثم نبين اصل ما ذكره كتاب الله. هذا الجبل يسكن بجواره الكرد (الاكراد) ولذلك سموه بلغتهم كاردو أو جاردوا وحرفها اليونانيون جوردى ومنه عرب لفظ القرآن جودى (*)

(*) المنار: إن نسخ التوراة ليست متفقة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بانها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر. أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال: ووافقه أيضا القرآن الشريف ولا تزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الى وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل

الشبهة الثامنة — الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية وببعض آيات وردت فيه وتغالوا فى المسألة حتى إنهم جعلوا جزءا عظيما من القرآن منسوخا . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قيض الله لهم في كل زمن من رد عليهم في أكثر هذه الدعاوى أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم ان لاناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذى لايقبل الرد مثل الحافظ السيوطي والامام الشوكاني وغيره، وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى

نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني
المفسر الشهير الى أنه ليس في القران آية منسوخة وخرج
كل ما قالوا إنه منسوخ على وجه صحيح بضرب من
التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازى اراءه في
ذلك في تفسيره المشهور ، ومن العلماء المتأخرين الاستاذ
الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ
في أي آية فسرها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة
وقال في أحاديث الآحاد إنها ظنية يحتمل أن تكون
مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح
لخداع الناس حتى إن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه
ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا ان بعضهم مات ولم
يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ماوضعه رائجا مقبولا
لم يطعن في سنده أهل النقد ، وتبعه في كل آرائه هذه

الاستاذ الرشيد حفظه الله [١] ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الآيات . فليراجعها في كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد ان يهتدي الى الحق

والخلاصة ان مذهب النسخ في القران ليس من العقائد الاسلامية في شيء . بمعنى أن المسلم يمكنه ان يفهم كتاب الله ويكون مؤمنا به حقا بدون ان يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البتة ، ومن أراد أن يحاجني في ذلك فعليه بالقرآن وحده .

---

(١) بل أقول إن كثرة الروايات في النسخ وصحة بعضها عن السلف يثبت لها أصلا لا ينكره محقق ولكن النسخ عندهم غير النسخ عند الاصوليين المختلف فيه وقال الشوكاني ان المنسوخ سبع آيات، وقال الاستاذ الامام ان قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية) الخ يدل عليه واما قوله (ما ننسخ من آية) الخ فهو في الآيات التي بمعنى المعجزات كما يدل عليه أسلوبها وهو مسبوق بهذا القول فليراجع في الجزء الاول من تفسيرنا

الشبهة التاسعة

هاروت وماروت — السحر هل سحر النبي ؟

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ، ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ، ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً إلى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما (انما نحن فتنة فلا تكفر) أي انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك اتشكر أم تكفر؟ وننصح لك بأن لا تكفر. يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية، وصناعتهما روحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم : نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها : إلى غير ذلك من الاوهام

والافتراء وللبهود في ذلك خرافات كثيرة حتى إنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله وانهما ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد جاراهم في ذلك جهلة المفسرين فجاء القرآن مكذبا لهم في دعواهم نزوله من السماء وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال (يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين) إلى آخر الآية فما هنا نافية على أصح الاقوال ولفظ « الملكين » هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الاله وصلبه وإن كان لا يعتقد ذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله (واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم) وقوله

(شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض) والذي يعين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله «تتلوا» لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ومعنى تتلوا هنا تقص وقوله بعدها «يعلمون الناس السحر» يعين هذا أيضاً إذ لا يتعلم أحد السحر إلا من شياطين الانس. وقوله تعالى (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صوره، أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه، والخلاصة أن معنى الآية من أولها إلى آخرها هكذا: —

ان اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر

ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموهما ملكين ولم ينزل عليهما شيء ، وانما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان إلا الخير ويحذرانهم من الكفر . وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجتمعين ، ويحلون به عقد المتحدين .

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين . والذي يدلك على صحة ماقلناه فيهما أن القرآن أنكر نزول أي ملك إلى الارض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي إلى الانبياء ، ونص نصا صريحاً أن الله لم يرسل إلا الانس لتعليم بني نوعهم فقال (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل

الذكر إن كنتم لاتعلمون) وقال منكراً على من طلب انزال الملك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون) وقال في سورة الفرقان (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيراً * —إلى قوله— فضلوا فلا يستطيعون سبيلا)

واعلم أن السحر لايغير حقائق الاشياء وانما هو تخييل وشعوذة وحيل كما قال تعالى في حكاية سحرة فرعون (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وقال أيضاً (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) أي إنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة مايفعلون . فأين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول «وصارت العصي ثعابين » كأن المسألة كانت حقيقية .

هذا واذا لم يكن للسحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن

يسحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه صار يخيل اليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون إذ لو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحي اليه شيء وهو لم يوح اليه ولصدق عليه قول الكافرين (ان تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه ، وانما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه انه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر إلى غير ذلك مما اختلقوه . وأما قوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) الذي اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا : —

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والانثى والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النمامون المقطعون لروابط الالفة، المحرقون لها بما يلقون من ضرام نمائمهم ،وما ينفثون فيها من سموم وشاياتهم، والعقد كالعقود بمعنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرهما

كأنه قال تعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفترين غير ماذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه . وهذا التفسير الذي ذكرناه مأخوذ من أفكار الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر مايقاربه المحقق أبو مسلم الاصفهاني ، ونقله عنه الامام الرازي واستحسنه وذكر مثله المفسر الشهير أبو السعود أيضاً (*)

فهذه هي اكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها ورودا في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسبه الظمآن

(*) وسبقهم كلهم الى ذلك الامام أبو بكر الجصاص الحنفي في تفسيره أحكام القرآن وفند القول بصحة الحديث وان خرجه البخاري

ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . بل ان بعضها ليس فيه على القرآن شبهة ، بل هو له حجة، كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر والجودي مثلا . وقس عليها أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسماع سليمان لها ان حمل على ظاهره ، وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية . وانما هو غريب وليس كل غريب مستحيلا والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة . فمن ادعى أن في القران شيئا مستحيلا فعليه بالدليل المنطقي الصحيح والا ضربنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذيا

﴿ مسألة صلب المسيح ﴾

بقي عليّ أن أنبه الناس على ما يفتريه هؤلاء الدعاة طعنا في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين انه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق الى ذلك فان هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصاري الاولين مثل الباسيليديين والسيرينثيين والكارپوكراتيين والتانيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت اكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) فمن شاء فليراجعها . وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الاعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم

يصلب وانما صلب واحد آخر بدله كما رواه العلامة سيل الانكليزى مترجم القرآن وآخر يدعى (فتيوس) وكذا ما ورد في انجيل برنابا وهو أحد الاناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ما أتى به القرآن تماما حتى في ذكر اسم النبي محمد ﷺ صراحة . وهذا الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون [1] وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرفه أجبنا كيف حرف المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم يحرف المسلمون غيره من كتبهم على أن المسلمين ماعرفوه الا عنهم؟

وان تعجب فعجب قولهم في مسألة قيام المسيح

---

١) كان النصارى أخفوا نسخه حتى اتفق لبعضهم ان سرق نسخة منه كانت في مكتبة الفاتيكان باللغة الطليانية القديمة ثم وصلت هذه النسخة إلى بعض رجال الانكليز فترجمها بلغته وطبعها وترجمناها نحن بالعربية وطبعناها بمطبعة المنار وهي تطلب من مكتبة المنار بمصر

من القبر على زعمهم : إذا كانت هذه القيامة موهومة فاين جسده اذاً . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبيعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر أسفارها «تثنية ٣٤:٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الامر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في اخفاء جثته—لو قتل — لاطفاء نار المشاحنات والفتن ومحو الشغب بين الناس ؟ هل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك؟

لا يبعد أن يكون مايقصه النصارى علينا هو من قبل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديما وحديثا . ومثل هذه التلفيقات كان شائعا في الاعصر

الاولى المسيحية حتى ان كل طائفة من طوائفهم ألفت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم برآء منها. فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أو في القرن الثاني. وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثليث. وقد أخذ الحق يحصحص الآن بينهم بعد أن صارعه الباطل أجيالا عديدة وأخذ الناس يدخلون فى عقيدة التوحيد والتنزيه أفواجا أفواجا. وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجا.



﴿ شبهة مخالفة القرآن لظواهر بعض القواعد ﴾ (١)

تذكرنا شبهاً أخرى للنصارى تتعلق بألفاظ القرآن وروايته فوجب أن نشير إلى نقضها بالايجاز فنقول :

القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ باللفظ المنقول عنه بالتواتر حفظاً في الصدور، ونقشاً في السطور، وهو المجمع عليه بين المسلمين في سائر أقطار الارض من عهد نبيهم إلى اليوم . وقد نزل القرآن على سبعة أحرف وهي أشهر اللهجات العربية وأرقاها في ذلك العصر . ولكن لم يصل الينا بالتواتر إلا لهجة واحدة وهي القرشية . وباقي اللهجات (وهي عندي بعض القرآت الحالية خلافا لمن أنكر ذلك) لم تنقل الينا كلها بالتواتر

«١» جعل الدكتور رحمه الله تعالى هذه المسألة في آخر هذه المباحث وسماها استدراكا لانه كان قد فات محلها فرأينا في هذه الطبعة أن نضعها في هذا الموضع

فلا نعتد بها كثيراً . ولا يطعن في القراءة المتواترة القرشية وجود سهو قليل جداً كزيادة حرف أو نقص آخر في رسم بعض المصاحف القديمة . فان ذلك يزول بالرجوع إلى النسخ الاخرى وإلى حفظ الجمهور لان المعول عليهما ، والمرجع اليهما ، كما اذا أخطأ بعض الحفاظ في كلمة أو وجدت غلطة في مصحف مطبوع أو منسوخ باليد .

هـذا واذا وجـد في تراكيب القرآن ما يخالف ماوضعناه لأنفسنامن القواعدالنحوية فماذلك إلا لنقص هذه القواعد وعدم إيفائها بالغرض المقصود منها ووجب علينا أن نستثني ذلك أو نعربه اعرابا يلحقها بما وضعناه ولا يجعلها شاذة كما فعل علماء اللغة في مثل قوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون [1] والنصاري »

(١) ذكر الصابئون بالرفع هنا لنكتة هي أن هؤلاء مختلف في اصلهم وكتابهم فميز اسمهم بالاعراب للاشعار بأنهم كاليهود والنصارى . والتقدير والصابئون كذلك أو وكذلك الصابئون

الآية وغيرها ، وما مثلنا في ذلك إلا كمثل عالم من علماء الطبيعة وضع نظرية يفسر بها ظواهر وجودية ، ثم عثر على شيء يشذ عن نظريته فهو لا يطعن في الطبيعة نفسها بل يحور ما وضعه أو يستثني ما كشفه . أو يفسره بما يجعله ينطبق على قاعدته . فكذا حالنا مع القرآن المتواتر الذي ألجم العرب بفصاحته وبلاغته ، بل مع كل كلام نقل عن العرب

والخلاصة أن الاساسين اللذين نبني عليهما أي حكم هما العقل والتواتر كما قلنا ذلك مراراً وليس هذا في الدين فقط ، بل في العلم أيضاً كالمباحث التاريخية وغيرها . وكل ما خالف هذين الاصلين رفضناه بتاتاً . وهذا هو شأن كل من أراد أن يهتدي إلى الحق في أي مبحث كان

وما قررناه هنا يهدم جميع ما هذي به مثل صاحب

(كتاب الهداية) من أساسه ويقوض دعائمه وينقض أركانه وقانا الله من الغواية، وأيدنا من عنده بالعناية انه المنقذ من لجج الاضاليل، الهادي إلى سواء السبيل

﴿ اعادة برهان النبوة بالاختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقاريء . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الايجاز برهان النبوة لعلمي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكا حقيقيا أكثر من ذي قبل فاضعه تحت نظر عقله مختصرا كي يجول بسهولة في انحائه ويحيط باطرافه، وأرجو من المخالفين أن يمعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه امعان من يريد أن يكتب للناس ردا عليها لا أن يعموا بصيرتهم بانفسهم لاجل ما ورثوه من آبائهم . فان الحق أحق أن يتبع (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) . وهاك

البرهان ، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم ، فقير ، أمي ، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشعر أو الخطابة ونحوهما ، لم يعهد عليه الكذب في صغره ، نشأ في وسط الجهل والوثنية ، فاتى والعالم محتاج الى الاصلاح بعقائد صحيحة أشار الى براهينها ، وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ، ومسائل علمية لم تكن معروفة ، وإخبار ببعض مغيبات تحققت ، وأخرج العرب من أحط دركات الهمجية الى أعلى سلم من المدينة في مدة قليلة . ثم انتشر اصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل ببطلانه الى الآن بعد مضي الف ومئين من السنين ، بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون أسرارها : أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها ، ومخالفة للمعهود في

أسلوبها ، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح ، بل أذعن جمهورهم ومن شذّ افتضح ، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يعثر الانسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله

وكيف لم ينجح أحد في معارضته الى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظا ومعنى ؟

فبماذا تجيبون أيها المبطلون، وكيف تعللون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجمع هنا آيات القرآن ، الدالة على ذلك البرهان ، اتماما للفائدة وبيانا لكونه حجة الله على الناس كافة

(ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى *(١) ووجدك عائلا فأغنى * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبثتم فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين * قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا

---

(١) المنار : الضلال في اللغة أن تخطيء الطريق وقد كان النبي (ص) قبل النبوة لا يعرف طريق الايمان والشرع فهداه الله اليه بالوحي كما قال تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا)

كثيرا * فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)

وليلاحظ القارىء أني أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى ، وأكرم به من نعمة من الله كبرى . قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الانام بضياء الاسلام . فبلغ الله عنا محمداً أزكى السلام ، في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات

والارض : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار * ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فامنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب *

﴿ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب ﴾ (*)

ننشر هذه المقالة هنا ليتبين للناس الحكمة في اعتبار الشريعة الاسلامية أن الكلب نجس وفي تحريمها لحم الخنزير معتمداً فيما أقول على المباحث العلمية الطبية الحديثة التي أثبتتها التجارب الحسية حتى لا يبقى عند أحد ريب في صحة ما أتت به هذه الشريعة الغراء والعمل بموجبه فانها أحكم من أن تضع حكماً عبثاً وأجل من أن تسن قانونا لا فائدة للناس فيه ، فما خفي سببه منها في بادىء الامر فلا بد أن تتجلى فائدته عاجلا أو آجلا فأقول :

(الاول) أسباب تحريم لحم الخنزير

لتحريم لحم الخنزير أسباب كثيرة أجلها ثلاثة وقبل

(*) نشرت في المجلد السادس من المنار (ص ٣٠٢)

أن أتكلم على هذا السبب الاول يجب أن أقدم مقدمة في علم الديدان حتى لا يعسر على أحد فهم ما اقول .

(الاول ومقدمته) قد يوجد في امعاء الانسان عدة أنواع من الديدان قل أن يخلو منها أحد ومضار هذه الديدان متفاوتة فمنها ماضرره عظيم ومنها ماضرره حقير ، ومن هذه الانواع مايسمي بالديدان الشريطية أذكر منها الدودة الوحيدة بتفصيل يسير لان لها صلة بموضوعنا وأشير إلى غيرها فيما بعد . تسمى هذه الدودة (تينياسوليم) وهي مركبة من كلمتين أولاهما يونانية والثانية لاتينية ومعناها الشريط الوحيد سماها الواضع بهذا الاسم لظنه أنه لا يوجد منها في الامعاء إلا واحدة فقط وهذا خطأ فقد يوجد منها أحياناً اثنان أو ثلاثة وطولها يختلف من ٧ أقدام إلى عشرة وهي مقسمة إلى عدة أقسام تبلغ ٨٥٠ وفي الاقسام الخلفية توجد أعضا

التناسل فتجد أن كل قسم منها فيه أعضاء الذكر والانثى فاذا تمت هذه الاعضاء وظيفتها وتكونت البويضات في داخل الرحم انمحت الاعضاء الا الرحم فتبقى البويضات محفوظة فيه ، فاذا سقطت هذه الاقسام المشتملة على البويضات من دبر الانسان وقت التخلي كما يحصل كثيراً لمن كان مصابا بها ، ووصلت هذه البويضات إلى معدة الخنزير أثناء تقممه القاذورات وأكلها ذاب قشرها بواسطة العصير المعدي وخرجت الاجنة فتثقب الغشاء المخاطي للمعدة وتصل إلى أوعية الدم الذي يحملها إلى العضلات وغيرها وهناك تنتقل إلى طور جديد تصل به إلى تمام نموها وهذا الطور هو أن تكون هذه الاجنة حويصلات صغيرة واحدها قدر حجم الحمصة في داخل اللحم ، وبعد ذلك يبرز في داخل هذه الحويصلات هنات مخروطية الشكل كل

هنة منها رأس لدودة جديدة ، فاذا أكل انسان هـذا اللحم خرجت هذه الرءوس من حويصلاتها وعلقت بالغشاء المخاطي للامعاء وكونت كل واحدة دودة طويلة تامة النمو وتسبب من وجودها في الامعاء أعراض كثيرة فيحصل للمصاب بها مغص أو اسهال أو قيء ، وربما صار نفسه كريه الرائحة ويصاب بالاقهاء (فقد شهوة الطعام) أو النهم الشديد ، وقد يصاب بآلام في رأسه أو دُوار أو اغماء ويشعر بضعف عام في جسمه وتضطرب أفكاره ، وأحياناً تنتابه نوبات صرعية وتشنجات عصبية قوية . وليس هذا كل الضرر الذي ينشأ عن هذه الدودة ، بل هناك خطر آخر عظيم وذلك أن بعض الاقسام قد يتلف وهو في الامعاء فتخرج البويضات مع البراز فاذا أصابت ملابسه أو يده أو غير ذلك ووصلت إلي معدته أثناء أكله أذاب العصير

المعدي قشورها وخرجت الاجنة وتطورت بذلك الطور الذي ذكرناه في الخنزير فتتكون الحويصلات المذكورة سابقاً في أعضائه . وكثيراً ماتصيب عينه فتتلفها أو بعض أجزاء مخه فتفسدها وتبطل عملها فيحصل له شلل في بعض أعضائه أو غير ذلك مما يتسبب عن اصابات جوهر المخ وقد تصيب أعضاء أخرى فتعمل فيها ماعملته في العين والمخ ويصير الانسان منبعاً لعدوى غيره فاذا صافح آخر وانتقلت اليه البويضة تعمل فيه ماعملته في الاول . وكثيراً مايتخلى أهل الارياف وغيرهم في المزارع أو في مياه الشرب فتنتقل بسبب ذلك الحويصلات إلى أناس كثيرين ولولا الخنزير لما أصاب الانسان شيء من ذلك فانها لاتوجد في حيوان يؤكل سوى الخنزير وقد توجد في الكلب أيضاً والقرد

واعلم أنه لاتوجد دودة تتم طور الحويصلات في

الانسان سوى هـذه وأخرى نذكرها فيما بعـد

وحويصلات هذه الدودة تقاوم الحرارة في درجة ٦٠

سنتجرام نحو نصف ساعة على الاقل إذ كانت توجد

في داخل لحم الخنزير وهو موصل رديء للحرارة فإذا

غلي الماء الذي حوله أثناء الطبخ حتى صارت درجته

١٠٠ فلا تصير درجة مافي داخل اللحم ٦٠ أو ٧٠ إلا

بعد زمن ثم ترتفع شيئاً فشيئاً حتى تصير ١٠٠ ولهذا نجد

أن كثيراً من الاوربيين مصابون بها وذلك لصعوبة

قتلها بالحرارة وكلما ازداد الانضاج للثقة بقتلها عسر هضم

اللحم لتجمد المواد الزلالية

هذا ولما كان اختيار أخف الضررين هو الواجب

عند الاحتياج إلى ارتكاب أحدهما ولا يخلو لحم من

مضار وجب أن نختار ماهو أخف أذى . قلت ذلك

لان الحيوانات الاخرى المأكولة كالضأن أو غيره لا تخلو

من ديدان أخرى شريطيـة كالسابقة من ذلك دودة (تينيا ساجنيتا) التي توجد حويصلاتها في البهائم التي تؤكل ، ولكن هناك فرقا بين هـذه وتلك لان الحويصلات في هـذه اذا وصلت إلى معدة الانسان وتكونت منها الدودة التامة وفيها البويضات فلا يمكن اذا ازدرد الانسان البويضات ثانياً أن تكوّن طور الحويصلات فيـه مطلقاً . لانه لا يفعل ذلك إلا دودة الخنزير وبذلك يكون الانسان مطمئناً على عينه وعلى مخه وغير ذلك من الاعضاء الرئيسـة ولا يكون منبعاً لعدوى غيره ، وذلك لان هذه البويضات يلزم لها حيوان آخر غير الانسان حتى تتم طور الحويصلات فيـه ، وبعد ذلك تنتقل منـه إلى الانسان فتكون في امعائه الدودة التامة البالغة النمو ، وفي الحقيقة أن أعظم الاخطار هو تكون الحويصلات في أعضاء الانسان الرئيسة وأما

في الامعاء فربما لا ينشأ عنه شيء مضر به ، واذا حصل بعض الاعراض التي ذكرت كالقيء والاسهال والصداع فازالة الدودة بكثير من الادوية سهل جداً ، ولكن ازالتها وهي في طور الحويصلات من المخ وغيره عسير بل مستحيل . وليس هذا هو ضرر الخنزير الوحيد ، بل هناك مضار أخرى فاسمع الغرائب الآتية

(الثاني) كثيراً ما يأكل الخنزير الفيران الميتة التي كثيراً ما تكون عضلاتها محلا لاجنة دودة تسمى (تريكينا اسبايرالس) أي الشعرة الحلزونية لانها دقيقة جداً وملتوية على شكل حلزوني فاذا وصل هذا اللحم إلى معدة الخنزير هضم وخرجت الاجنة من غلفها فتكبر ، وبعد ذلك تتزاوج ذكورها واناثها فتلد ديدانا صغيرة كثيرة وهذه تثقب أغشية الامعاء المخاطية وتصل إلى عضلات الخنزير فاذا أكلها إنسان ولم يكن قد عرضها بالطبخ

لحرارة كافية لإماتتها نمت في امعائه إلى أن تلد أجنة كثيرة تنفذ الى عضلات الانسان وخصوصاً عضلات التنفس وكذلك القلب ، وحينئذ يصاب بمرض شديد فترتفع حرارته ويعتريه اسهال وقيء وتلتهب جميع عضلاته فلا يقدر على تحريكها ويصير لمسها مؤلما فلا يمكنه أن يمضغ أكله فيمتنع عنه ويصعب عليه ان يتنفس لالتهاب عضلاته ولا يقوى على تحريك عينيه ، وبعد ذلك يحصل له ارتشاح في جميع جسمه فيرم وتسرع حركات نبضه ، وحركات تنفسه بطيئة جداً حتى يموت.

وهذه الاعراض لا يمكن علاجها مطلقاً إذ لا يمكن إزالة هذه الديدان من عضلاته بعد تحصنها فيها . وهذا المرض كثيراً مايحصل في البلاد الاوربية بسبب أكل هذا اللحم المشئوم ولا يتسبب عن أكل لحم سواه كالضأن وغيره لأنها لا تأكل الفيران الميتة إلا اذا ألقي في غذائها

أو وقع فيه بالاتفاق وأكلته بالتبع له فحينئذ تصاب بما يصاب به الخنزير ولكن هذا نادر جداً والنادر لا حكم له بخلاف الخنزير فان حبه للفيران الميتة يوقعه في ذلك مراراً عديدة ولعل هذا السبب ايضاً هو احد الحكم في تحريم لحوم الحيوانات التي تأكل اللحم لانها عرضة للاصابة بهذا المرض كثيراً

(الثالث) لحم الخنزير هو أعسر اللحوم هضما بالاتفاق وذلك لان أليافه العضلية محاطة بخلايا شحمية عديدة أكثر من الحيوانات الاخرى المباح أكلها وهذه الانسجة الدهنية تحول دون العصير المعدي فيعسر عليه هضم المواد الزلالية للعضلات فتتعب المعدة بعسر الهضم ويحس الانسان بثقل في بطنه ويضطرب القلب فان ذرع الآكل القيء والا تهيجت الامعاء وانطلق البطن بالاسهال فمن لم يتعود أكله تعب منه كثيرا ومن تعوده

وكان قوي المعدة كان الاولى له صرف قوتها في الاغذية
الجيدة النافعة وان لم يكن قوي المعدة ناله من شر هذا
اللحم ما يستحق .

والخلاصة أن من اجتنب أكله أمن الاصابة
بالدودة الوحيدة أوحويصلاتها ولم يكن سببا في عدوى
غيره وسلم من الاصابة بمرض دودة الشعرة الحلزونية ـ
الذى ربما فاق الحمى التيفودية فانه من أصابه لا يرجى
شفاؤه ولا بد من موته به ـ وحفظ معدته من التعب وعسر
الهضم وأسباب القيء والاسهال وضعف تغذية الجسم
الى غير ذلك من المضار التي سبق شرحها ، وأما اللحوم
الاخرى فانها اسهل هضما ولا يتسبب عنها عادة مرض
الشعرة الحلزونية ولا حويصلات في أعضائه الرئيسة
يتلفها وان نشأ عنه دودة شريطية فعلاجها سهل ولا
تحدث اعراضا مهمة . فعلى قاعدة ارتكاب أخف الضررين

يجب أن نقول : لا تأكلوا لحم الخنزير فانه رجس وكلوا غيره مما أبيح شرعا .

الدين الاسلامي لم يأت لاصلاح الروح فقط بل لاصلاح الروح والجسد معا فأتى بما ينفعنا في دنيانا وآخرتنا وأنفسنا وأبداننا ولم يترك ضاراً لاحدهما إلا ونبه عليه تصريحاً أو اجمالا على حسب شيوعه وعدمه بين الناس فلو ترك التكلم في المأكولا ونحوها لما كان مرشداً للانام في جميع احوالهم الضرورية فلو لم يحرم لحم الخنزير مثلا لمضى زمن طويل حتى يهتدي الناس الى ضرره ولو اهتدى اليه بعض الامم لما اهتدت اليه الامم الاخرى كالسودان والحبشة مثلا ولو علم ضرره بعض الامم لما علمه فيها الا الخاصة فقط ويمضي الزمن الطويل حتى تعلمه العامة ولو علمته العامة لما قويت على ترك ما اعتادته وعهدت اللذة فيه بخلاف الامر الديني فان كل الامم المؤمنة

به تذعن له في أقرب وقت وتخضع له العامة كما تحترمه
الخاصة ويعمل في نفوس الجميع مالا يعمله قول الخطباء
ونصح النصحاء ولذلك تجد أن شرب الخمر في أوروبا شائع
بين سائر الطبقات وكل يعلم ضرره ومع ذلك لا يمتنعون عنه
لا بقول خطيب ولا بقول طبيب فكم خطبت الخطباء
ونصحت العلماء ولكن أين من يسمع؟ فلو لم يكن للدين
التأثير الاقوى في أهل الشرق لفاقوا أهل الغرب في
الشرب وسبقوهم في تربية الخنزير وأكله ولو لا أنهم أخذوا
يقلدونهم الآن لما وجدت بينهم شارب خمر ولا آكل
خنزير الا نادراً، ولما سمعت بمرض مما ينشأ عنهما فيهم،
فاي إنسان يمكنه الآن أن يعترض على الدين ويقول
« ماله يتكلم في المأكول والمشروب » وفاته انه لم يأت
إلا للاصلاح العام في كل ما يمكن اصلاحه فلم يتكلم
في العقائد والعبادات فقط بل في المعاملات أيضاً، وكما

أمر باصلاح القلب وطهارته ، امر بحفظ صحة الجسم ونظافته، فأنعم به من دين جمع فاوعى، وأحكم به من صراط سوي مستقيم

(٢) أسباب تنجيس الكلب أو النهي عن سؤره

بقي علينا ان نتكلم في نجاسة الكلب : لا نقول ان السبب في ذلك هو أنه عرضة للاصابة بداء الكلب فان هذا الداء لا يصاب به الكلب وحده بل قد تصاب به الهرة والبقرة والحصان وغيرها ومتى أصيب الكلب به عرفه الناس وقتلوه فانه متى اصيب به شل سريعا عن الحركة وسهل قتله ومجرد لمسه في هذه الحالة لا يعدي بل لا بد من العض ودخول لعابه في داخل جلد الانسان فلماذا يعتبر الكلب نجسا في جميع أحواله ولا تعتبر البقرة والحصان كذلك ؟ السبب في ذلك ما يأتي :

في أمعاء اكثر الكلاب دودة شريطية صغيرة جدا

طولها ٤ مليمترات تسمى (تينيا ايكنيو كوكس) فاذا
راث الكلب خرجت بويضاتها بكثرة في الروث
فيلصق كثير منها بالشعر الذى بالقرب من دبره فاذا
أراد الكلب أن ينظف بدنه بلسانه كماهي عادته تلوث
لسانه وفمه بها وانتشرت في بقية شعره بواسطة لسانه
أو غيره وهذا مايحصل في كل نوبة وبتكراره يصير
جميع سطح جسمه ملوثا بهذه البويضات كما شوهد
ذلك بالنظارات المكبرة .

فاذا ولغ الكلب في إناء فيه ماء أو مائع أو قبله
إنسان كما يفعل الافرنج أو لمس جسده بيده او بملباسه
علقت بعض هذه البويضات بتلك الاشياء وسهل
وصولها إلى فمه في أثناء أكله أو شربه فتصل إلى
معدته وتخرج منها الاجنة فتثقب جدر المعدة وتصل
الى أوعية الدم فتصل إلى أعضاء الجسم الرئيسة وغيرها

وهناك تتم طور الحويصلات ولكن هذه الحويصلات كبيرة فتسمى هنا أكياسا وهي تصيب الكبد كثيراً وأحيانا تصيب الاعضاء الاخرى كالمخ والقلب والرئة ووجود هذه الاكياس يحدث أعراضا عديدة فما يصيب منها الكبد قد يولد استسقاء زقيا بضغطها على الوريد الباب أو يرقانا وقد يتقيح السائل الذي في قلب الكيس ويوجد خراجا في الكبد وربما انفتح هذا الخراج في تجويف البريتون فينشأ عنه التهاب بريتوني حاد فيموت الشخص بسببه وإذا انفتح في تجويف البلوري تسبب عنه التهاب مع انسكاب إلى غير ذلك من المضار واذا حصل هذا الكيس في المخ نشأ عنه صداع شديد وقيء متوال وفقد شعور واحساس وتشنجات وشلل بعض الاعضاء على حسب موضعه من المخ واذا أصاب القلب فربما كان سببا في تمزقه فيموت الشخص في الحال

كل ماقلناه ليس تخيلات شعرية ولا تصورات
وهمية بل هي أشياء شاهدها أطباء أوربا في بلادهم
وعلموا سببها بالحس والمشاهدة ونصحوا للناس بالابتعاد
عن الكلب ولكن أين من يسمع ولا أمر دينيا يعتقد
عندهم فيهاهم ؟ . هذا ولما كان تمييز الكلب المصاب
بهذه الدودة من غيره عسير جداً لانه يحتاج الى زمن
وبحث دقيق بالمنظار المكبر الذي لا يعرف استعماله الا
قليل من الناس(١) كان اعتبار الشارع إياه نجسا هو عين
الحكمة والصواب فتبتعد الناس عنه وتأمن من شره
فالحمد لله الذي جعل ديننا هاديا لنا في جميع أمورنا
وأيده ويؤيده كل يوم بالبراهين الحسية حتى يتضح
للناس ان الدين عند الله الاسلام ويظهر تأويل قوله تعالى

«١» هذا بعد ان وجد في هذا العصر وحيث يوجد من
بلاد الحضارة الصناعية العلمية الحاضرة ولا تزال أكثر بقاع
الارض خالية والدين قدشرع لكل البشر في كل العصور والبقاع

(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد)

استدراك في شأن تعدد الزوجات

ما تقدم في تسليم منع المسيحية تعدد الزوجات كان على سبيل المجاراة الجدلية والحقيقة أن المسيحية أباحت التعدد للجمهور ومنعت منه الاساقفة والشمامسة . وكان التعدد في العصر الاول معمولا به في الكنيسة المسيحية ويقال انه فاش بين طائفة منهم في بعض الجهات إلى اليوم وليست الاباحة عندهم مقيدة بخوف عدم العدل ومع هذا ينتقدون الشريعة الاسلامية الوسطى

فهرس

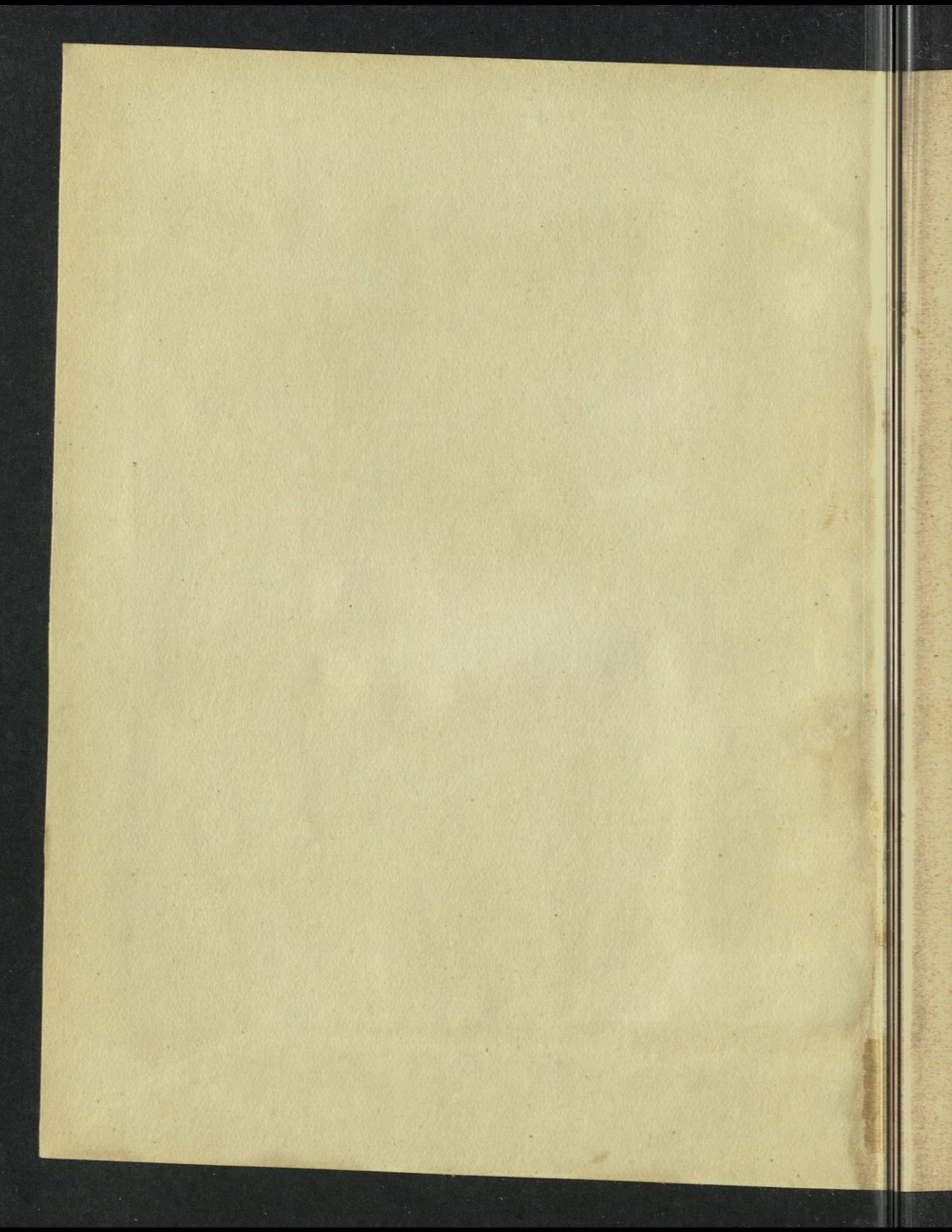
﴿ رسالة الدين في نظر العقل الصحيح ﴾

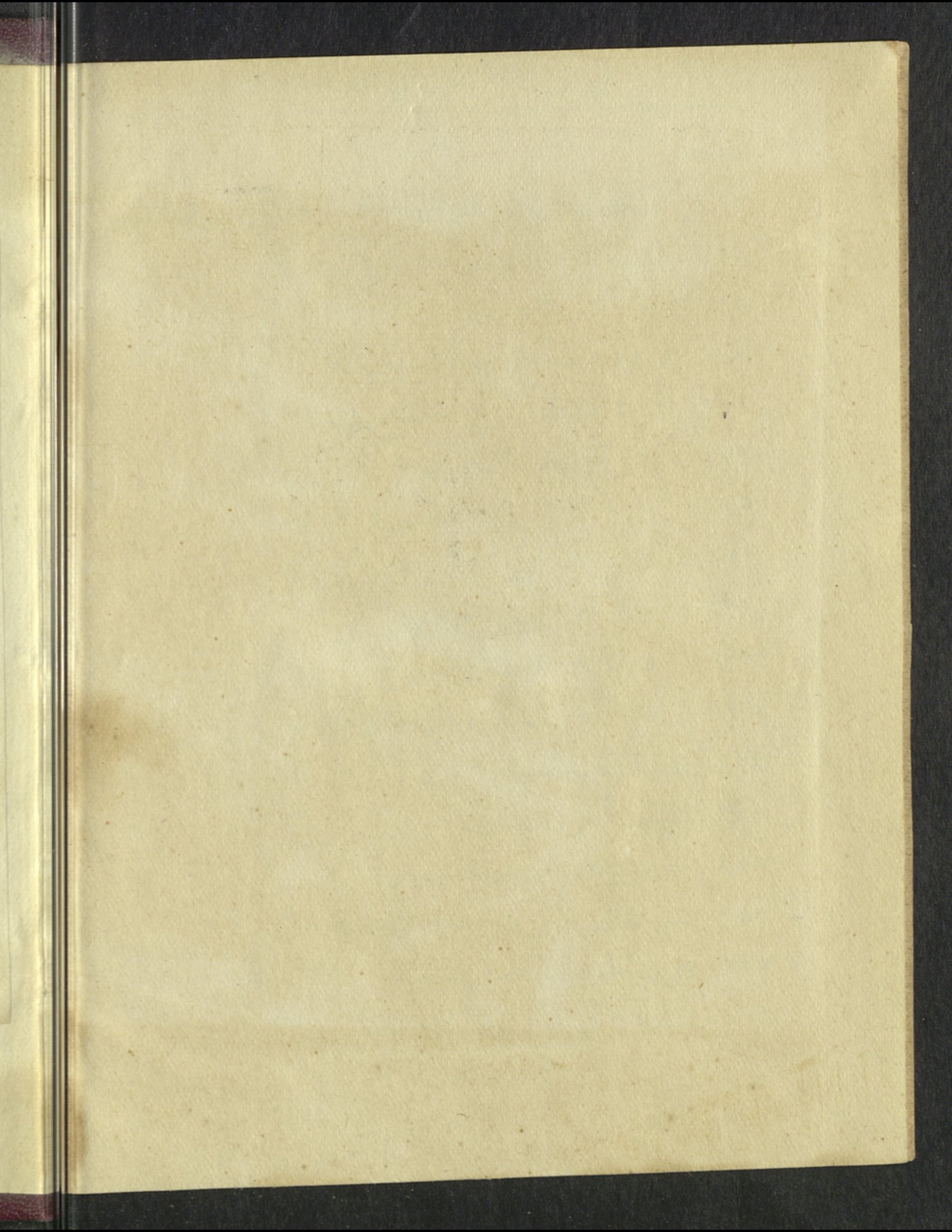
صفحة		صفحة	
	الخطبة	٦٣	العقل والعلم مع الايمان
٣	تمهيد	٦٩	تأثير الشياطين
٤	المادة وتركيبها	٧٣	عدم الاكراه على الدين
٦	حدوث المادة	٨٠	اصلاح حال المرأة
٧	وجود الواجب	٨٧	الايثار في الاسلام
٨	أحكام «	٨٩	الرقيق وتحريره
٩	الاقانيم الثلاثة	٩٦	الايتام — العناية بهم
١١	الروح والبعث — مذهب الماديين	٩٧	ابن السبيل — اللقيط
١٥	النبوة	٩٨	الخمر والميسر ولحم الخنزير
٥٧	الاسلام هو الاصلاح الاكبر	٩٩	مصالح الدنيا
٥٩	حب الله للمؤمنين	١٠١	الخاتمة في رد شبهات
٦١	المساواة	١٠٢	شبهتان للماديين في القرآن
		١٠٣	آدم أب لبعض البشر

صفحة

١١٢ شبهات النصارى في القرآن — اقتباس القرآن من الكتب
١١٤ الشبهة الثانية دعوى غلط القرآن
١١٥ خطأ كتب العهدين
١١٨ (٤٠) شاهداً على خطأ العهدين
١٢١ الشبهة الثالثة « مريم أخت هارون »
١٢٤ « الرابعة « السامري »
١٢٨ « ٥ غروب الشمس في العين
١٢٩ « ٦ آزر أبو ابراهيم
١٣١ « ٧ جبل الجودي
١٣٢ « ٨ الناسخ والمنسوخ
١٣٥ « ٩ السحر وهاروت وماروت
١٤٤ مسألة صلب المسيح
١٤٨ شبهات أخرى للنصارى
١٥١ اعادة برهان النبوة بالاختصار
١٥٥ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى
١٥٧ تحريم الخنزير ونجاسة الكلب
١٧٤ استدراك في شأن تعدد الزوجات

(تم والحمد لله)






AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

